عين المدينة

نصف شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل
سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعشات السورية في الخارج

العدد 79 2016 / 10 / 27

جواب لسؤال

افتتاحية بقلم د. هيثم الحموي

يروى أن سيدة في قرية كانت ماهرة في صناعة طبق من أطباق السمك، وعندما كانت تشرح طريقة إعداد الطبق لإحدى جاراتها، قالت إنها تقطع رأس السمكة وذيلها قبل وضعها في مقلاة الزيت. سألتها جارتها عن السبب، فقالت السيدة إنها لا تعلم السبب لكنها تعلمت الطريقة من والدتها. امتلك الفضول الجارة، فذهبت إلى والدة السيدة لتسألها عن سبب قطع الرأس والذيل، فأجابت الوالدة أنها هي أيضاً لا تعرف السبب، وأنها تعلمت طريقة صنع طبق السمك من والدتها التي لا تزال على قيد الحياة. ذهبت الجارة من فورها إلى الجدة، وعندما حدثتها بالقصة، وسألتها عن سبب قطع الرأس والذنب، انفجرت الجدة ضاحكة، وقالت لها إن السبب أن مقلاتها كانت صغيرة، وكانت تضطر لقطع الرأس والذنب حتى تتسع المقلاة للسمكة!

كثيرة هي تصرفاتنا المشابهة لقطع الرأس والذنب، ذهبت الحاجة لكن بقي السلوك، والسبب ببساطة غياب السؤال.

بعد سن الثالثة يبدأ الولد بإرهاق أهله بسؤاله المتكرر المتوالي (لماذا؟) وكل جواب يجرّ (لماذا؟) أخرى، حتى يكتفي الولد ويهز رأسه ليعيد الكرة في موقف جديد بعد وقت قصير. يتلاشى هذا السؤال من أذهاننا مع تقدمنا في العمر، وتتحوّل سلوكياتنا إلى عادات غير مفهومة تأسرنا بقوة، وحتى لو أحسسنا منها بالضجر، فلا نجرؤ أن نعود إلى سؤالنا الطفولي (لماذا؟)!

كنت في حديث مع صديق إنجليزي عن بعض عادات الإنجليز، وبعد عدة أسئلة قال لي: "هل تعرف أنني مسرور بأسئلتك لأنها جعلتني أفكر بأمور كثيرة أفعلها وفق العادة، ولم أفكر بها يوماً". الأمر ذاته حدث معي عندما سألتني صديقتي الألمانية: "لماذا الوشم حرام في الإسلام؟" فقلت لها الجواب الذي حفظته من صغري: لأنه تغيير لخلق الله، فأجابتني بابتسامة ساخرة: "ولكنكم تثقبون آذان بناتكم وتطهرون أولادكم الذكور، وهذا تغيير لخلق الله".

كثيراً ما أفكّر أن إحساسي بالضياع في أمر ما سببه عدم وضوح السؤال في ذهني.. بل إنني استخدمت طريقة السؤال لأتخلّص من ضيق يصيبني، بأن أقف مع نفسي بوضوح سائلاً إياها: لماذا أنت في ضيق الآن؟ وبعد أن أضع الجواب، أسأل نفسي: ولماذا هذا الأمر يسبب لك الضيق، ومن ثم سؤال: وماذا الآن؟ هل يمكنك تغيير شيء نحو الأفضل.. أم أن الأمر حدث وانتهى؟..

ثقافتنا عموماً تقدّس الإجابة وتكره السؤال؛ نمدح إنساناً لأن عنده جواب لكل سؤال، مع أن هذا الرجل قد لا يكون يوماً فكر بسؤال واحد من تلقاء نفسه، وإنما حفظ الأسئلة والأجوبة كالببغاء.

بعد كل جلسة نقاشية مثيرة لأسئلة هامّة، يخرج معظم الحضور منزعجين لأننا لم نصل إلى جواب للأسئلة المطروحة، وكأنه لو كان الأمر بهذه السهولة لما بقي للسؤال معنى!

دخلت في حوارات كثيرة مع ناس من مختلف الأجناس، وفي مختلف الموضوعات، وفي كل مرة أجد أن أساس أي أمر هو إثارة السؤال، وأنك إن لم تستطع إثارة السؤال في نفس الإنسان، فلا معنى لأن تبادر بإعطاء الجواب.

واليوم وبعد كل ما حدث في سورية، لا يزال كثيرون يرفضون السؤال عن سبب ما يحدث؛ فالأجوبة جاهزة، وكل منّا عنده أجوبته لـ (لا أسئلته)!

لم نتساءل بعد بصدق وحرقة، سؤالاً يتعدى دمدمة اللسان إلى إعمال الجوارح والفؤاد بكل الوسع والطاقة: لماذا تحلّ بنا كل هذه المصائب؟ لماذا ظهرت داعش؟ لماذا لا تقوم للمسلمين قائمة في كل أنحاء المعمورة؟ لماذا لا يعرف المسلمون طريقاً إلى العمل الجماعي؟

كل هذه الأسئلة وغيرها لا تنتظر إجابات بعد، فهي لم تُسأل أصلاً حتى الآن! لكنني متفائل بأننا سنبدأ قريباً بالعودة إلى إنسانيتنا، وبالعودة إلى سؤالنا الطفولي البريء: لماذا؟

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise
info@freedomraise.net

معاون رئيس التحرير: أسامة نصّار
قسم حقوق الإنسان: أنور البني
قسم المرأة: يارا بدر
المحرر الاقتصادي: وائل موسى
الغلاف: سمير خليلي
كاريكاتير: سمير خليلي
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية: رزان زيتونة - ناظم حمادي

الحرب العالمية على الزومبي

عماد العبّار

تساعدنا بعض أفلام هوليود على فهم الطريقة التي يفسر بها الآخرون العالم. فحين تشاهد فيلماً ما، فأنت أمام وجهة نظر مختلفة، ومن غير المستبعد أن تجد مجتمعك وثقافتك ضمن دائرة الاتهام، سيما في بعض المواضيع الشائكة والحسّاسة التي تظنها محسومة ومتفقاً عليها إنسانياً، ثم تكتشف أنّ آخرين لديهم رواية منافية تماماً لروايتك. وتجد الآخر، الذي تعده متورطاً في كارثة عندك، يسوّق لفكرة مناقضة تجعل منك متهماً، وتجعله مستهدفاً لا حول له ولا قوة.

يعد فيلم حرب الزومبي العالمية World War Z، الصادر في العام 2013، المأخوذ من رواية تحمل نفس الاسم للكاتب ماكس بروكس، واحداً من بين أفلام كثيرة جسدت الصراع الأمريكي ضد خطر أو وباء أو هجوم شامل، يستهدف الوجود الأمريكي، والبشري بشكل عام، وهو هنا: هجوم الزومبي.

يأتي الفيلم ضمن سياق تاريخي تهيمن الحرب على الإرهاب على مجمل حيثياته، إن كان في الخطاب السياسي الغربي، أو التناول الإعلامي، مما جعل هذا الموضوع الحديث الأول للشارع الغربي، ومجالاً للتداول السياسي بين الأحزاب المتنافسة على السلطة.

فالعقل الغربي، الأمريكي أكثر من غيره، يسوق لحربه هذه بذات الطريقة التي تم فيها التسويق للحرب العالمية ضد الزومبي في الفيلم. حيث يتعامل هذا العقل مع من يضعهم ضمن خانة الإرهاب، بذات الطريقة التي تعامل بها الروائي مع كائنات غير بشرية، أو غير حية، فاقدة للمشاعر. فالزومبي جسد ميّت، لا يمتلك روحاً، ولا مشاعر، ونقتله دون أي إحساس بالذنب أيضاً.

وبمجرد أن يتحول الإنسان الطبيعي في الفيلم إلى (زومبي)، يفقد ما كان يتمتع به من حرمة بشرية، ويصبح قتله أسهل، وأقل وطأة على ضمير القاتل. وهذا ما تم فعله (واقعياً) مع أولئك الأشخاص الذين كانوا بشراً طبيعيين. ثم، وبمجرد أن اعتنقوا فكراً متشدداً، أو ارتكبوا أعمالاً عنفية، أصبحوا في نظر مكافحي الإرهاب كائنات غير بشرية، يمكن ممارسة أي فعل معهم، تعذيباً أو ترهيباً، لانتزاع الاعتراف. وقد يصل الأمر حد التصفية، للتخلص من هذا الوباء، وباء العنف الإرهاب!

يبدأ الفيلم وينتهي، دون أن تكتشف البشرية السبب الرئيسي لهذا الوباء. المهم في النهاية أنّ المنقذ، وهو موظف أمريكي طبعاً! كان يعمل لدى الأمم المتحدة، استطاع أن يجد علاجاً للمرض، وهو العلاج بالتمويه، من خلال حقن البشر الأصحاء بأنواع محددة من الجراثيم أو الفيروسات، مما يجعل الأجساد المصابة بها بعيدة عن دائرة الاستهداف من قبل كائنات الزومبي، والتي لا تستهدف سوى الأجسام السليمة من المرض.

أيضاً، لا يخلو الفيلم من إشارة لإسرائيل، بل كان مشهد القدس هاماً واستثنائياً، وبالذات حين تم تصوير جدار الفصل العنصري على أنه سبق إسرائيلي يستحق الاهتمام، كونه يدل على نبوءة إسرائيلية سليمة، وحكمة في الاستنتاج، حيث تم الانتهاء من بنائه قبل انتشار الوباء بأسبوع، بحسب الفيلم.

يظهر الجدار كفاصل بين عالمين، عالم الناس الأصحاء: وهم إسرائيليون، وعرب مسالمون تم تمريرهم من الحواجز لعدم ظهور علامات المرض على ملامحهم؛ فهم طبيعيون، مسالمون، يرقصون مع الإسرائيليين، ويشكلون معهم جبهة واحدة.

أما العالم الآخر: ويضم كل من هو خارج السور، وهم أشخاص متحوّلون، دمويّون.. كائنات غير بشرية، باختصار شديد، تسعى إلى اقتحام السور لنقل وبائها لجميع الأصحاء.. وتنجح بذلك في نهاية المطاف، برغم كل الاحتياطات والتحصينات. وهو ما يحصل (واقعياً) حين يعجز السور عن صدّ بعض عمليات المقاومة الفلسطينية!

في مشهد السور، تظهر الرواية إسرائيلية بامتياز. لكنها تحاكي أيضاً وجهة النظر الأمريكية في تصنيفها المعتمد للإرهاب، وفي طريقة حكمها على فصائل المقاومة إن كان في فلسطين أو غيرها من البلدان.. لكنّ السياق يعطي للإسرائيليين أفضلية، فهم أول من بنى الجدار، لصدّ هجوم الكائنات المتحولة. وفي الواقع، هذا إقرار بأسبقية الإسرائيليين في الحكم على العرب والمسلمين عموماً بوصفهم إرهابيين محتملين، أو إرهابيين فعليين، أو بمعنى آخر: كائنات متحولة، لا تستحق أن تعامل كبشر.

والفيلم بمجمله يتماهى مع النظرة الأمريكية للإرهاب، وكيفية التعاطي معه، دون التطرق إلى الأسباب السياسية والاقتصادية المحلية التي أدت إليه، وبالتأكيد دون الإشارة ولو من بعيد إلى دور السياسات العالمية في

توليد التطرف، أو تعزيزه، في مجتمع من المجتمعات. لأن أي إشارة من هذا النوع تمثل إدانة للعالم ككل، وتجعله المسؤول الأول عن تحول التطرف، والموجود بالمناسبة في كل المجتمعات، إلى ظاهرة عالمية، ومراكز تستقطب اليائسين، والمرضى النفسيين، وأصحاب الدوافع الإجرامية.. وهم موجودون أيضاً في المجتمعات كافة.

للضحايا وجهة نظر مختلفة، ويملكون تعريفاً مختلفاً للزومبي، قد لا يروق كثيراً لمعتنقي وجهة النظر الأمريكية ولتصوراتها عن العالم؛ فالزومبي في نظر هؤلاء هو كائن (مهاجر) أباد سكاناً أصليين ليقيم حضارته على أرضهم، ولم يتوانَ عن إبادة مدن بأكملها كي يعلن نفسه قوة نووية لا تقهر، وهو كائن دعم ديكتاتوريات في دول العالم الثالث، وعقد معها صفقات ليمتص خيرات بلادها مقابل دعمه لها. ثم وحين قرر أن يزيح نظاماً ما، لسبب أو لآخر، فلم يتردد في احتلال ذلك البلد، وقتل مئات الآلاف من شعبه تحت ستار نشر الديمقراطية، أو مكافحة الإرهاب..

يرى الضحايا أنّ الإرهاب الذي تقوم به كائنات مريضة، ما هو إلا نتيجة طبيعية للتخريب الذي قام به نظام (الزومبي) العالمي الجديد.

مقتبس من الفيلم : "مشكلة معظم الناس أنهم لا يصدقون أن شيئاً ما سيحدث، إلا بعد أن يحدث بالفعل.. إنه ليس غباء أو ضعفاً، بل هي طبيعة البشر وحسب.."

غسان كنفاني.. معتقلاً في مطار المزة العسكريّ!

عروة المقداد

المصباح الأبيض المضاء طيلة النهار والليل يجعل من "الهنغار" المحشورين فيه مشرحة متعفنة. إنها المرة الوحيدة التي يُطفأ فيها هذا المصباح اللعين. كان بياضه الرخيص يغشي عيني، ويجعل من الدم الأحمر المتخثر في رأسي صعقات كهربائية تفتح فيه "عماء"* حليبياً ممزوجاً بأرق طويل لا ينتهي.

كنت أرقد في زاوية الهنغار. متكوّراً على نفسي، ألعق جروحي كقط فزع. هل كنت أتكئ على كتفه؟ كان بالقرب مني ولا شك.. الأجساد هنا تطوي بعضها البعض، يعجنها الانتظار الممزوج بدهشة الموت، وصدمة الألم. تتداخل الرؤوس مع الأرجل كأنها جسد مشوه خِيطت أطرافه على عجلة. تئنُّ دون أفواه، تنتفض وتتلوى مثل أسماكٍ أُلقيت في برك من الرمل.

أحدق بتعبٍ في ذرات الغبار التي ولدت مع انطفاء الضوء. ترقص الذرات كما ننتفض، تدور على نفسها، ثم تتلاشى. تتوسع حدقة عيني، تلحق ذرات الغبار العشوائية، أفكر: كل ما يحدث يشبه هذا الغبار، في النهاية سنستحيل جميعنا إلى ذرات. يدي المهشمة فوق قدمي، أضمها إلى صدري. لا أستطيع تحريك عظامي. لكنني أتكئ برأسي على كتفه، وأحرك عيني متتبعاً الضوء. هذا الهنغار هو الحد الفاصل في كل شيء. هذا المكان هو المسافة التي لا نستطيع قياسها أو محوها من ذاكرتنا. أنا أبتهل. أغمض عيني وأشعر بالألم يتدفق في عروقي حتى المسامات. أُخزّن الألم في ذاكرتي، لا أريد نسيانه. أنا لن أنسى: أصابع محمود المتفجرة من صاعق الكهرباء. بول أبو عدنان الذي لعقه، انتفاخ جروحه من مرض السكري. رائحة الروح الواخزة عند خروجها من الجسد. تحلّل الذكريات والأسماء وتشوهها. تحطم الزمن ونقره كغراب يلتهم أطرافي ويطاردني في الكوابيس.

خارج الهنغار، بدأنا بسماع صراخ عال وضربات متوالية تصدر من عشرات الرجال والشباب. في بادئ الأمر اعتقدت أنها تصفية جماعية للمعتقلين، لكننا عرفنا لاحقاً أنها حملة اعتقال في مدينتي المعضمية وداريا.

كنت أسمع أصوات تكسير العظام، يتلوها صراخ الألم المفزع. الأقدام تهشّم جمجمة الرأس، وتطحن الأضلع.. تكوّرت على ذاتي غائصاً في حوض من الرعب والخوف. كان الضوء خافتاً رمادياً ينحدر من مكان ما ويمتزج ذيله مع سواد الأجساد التي طمستها العتمة.

أنا أسقط في بئرٍ عميق. تبتلعني العتمة والخوف. أترنح على خيط رفيع بين الجنون والهستيريا. أشعر بحركة كتفه فأعود إلى الهنغار. أنظر نحوه فيلتفت إلي. يطيل التحديق ثم يبتسم ابتسامة رقيقة تبعث الدفء، يهمس إلي: "هل تعرف أن الأسلوب مسألة معقدة في الكتابة؟ وقليل من الكتاب تستطيع أن تميزهم بأسلوبهم".

لا أعرف متى بدأ ذلك الحوار بيننا حول الكتابة والأسلوب. كيف استطعنا وسط ذلك الجحيم أن نبدأ حديثاً حول الشخصيات والروايات التي قرأناها. افترقنا كل واحد في معتقل داخل المطار وها نحن نلتقي مرة أخرى في هذه المشرحة المتعفنة.

كان الأنين يأتي من كل مكان؛ من الأجساد الممدّدة فوق بعضها البعض تتلوى من الألم، من الأجساد التي تُسحق عظامها في الخارج.. من الأجساد التي دفنت غيلة في قبور مجهولة. من صمت الوجوه المرتسم ببلاهة حين يجر كل هؤلاء الشباب إلى حتفهم دون أن يحرك أحد ساكناً. من النسيان .. النسيان الذي يقترفه كل يوم أبناء هذا البلد اللعين.

همست له: هل قرأت رواية "من قتل ليلى الحايك"؟ المرة الأولى التي التقيته فيها، كان ضمن دفعة كبيرة قادمة من مدينة داريا. كان هزيل الجسد مثلي. ابتسمت في نفسي وقلت هذا شاب آخر هزيل الجسد يرعب. هذه ثورة هزيلي الأجساد الخارقين.

كنا مشتتي التفكير. المرة الأولى التي التقيته فيها، كانت في سجن آخر من المطار. أظن أن كلينا غير ملفتين؛ أجساد هزيلة، نظرات ساهمة.. كنت أفكر حينها: لماذا السجن؟ لماذا كل هذا الألم. لماذا ثمة مكان فيه كل ذلك الرعب؟ وكنت أفكر أن من يقيم ويشرف ويعذب في هذا المكان لاشك وأنهم أكثر رعباً منا.

أجابني: "كانت هذه الرواية، واحدة من الروايات التي كنت أُدرس طلابي فيها "الأسلوب"؛ فأنت تلاحظ فور القراءة، أنها لغسان كنفاني أو ربما تتوقع ذلك. الأسلوب المحكم والمتقن الذي يخطف الأنفاس، رغم أنها رواية لم تتناول القضية الفلسطينية".

طال التعذيب خارج الهنغار، لم نعرف عددهم بالضبط ولكنهم كانوا كثر، حاولنا سماع أي كلمة لنفهم ما يحدث. كانت أصوات ألمهم أشد قسوة من التعذيب، ربما كان الإصغاء إلى صوت الألم أحد أقسى أنواع التعذيب. في تلك اللحظات من العجز ورعب الانتظار يصبح الموت أمنية حقيقية لتوقف العبثية غير المفهومة. تبعثرت نظراتنا، وسرحنا في ذرات الضوء، ومن ثم خيّم الصمت على الهنغار. صمت قاتل يشبه صمت القبور.

عاود الالتفات إليّ مرةً أُخرى، فنظرت إليه بيأس تام وتملكتني رغبة كبيرة في البكاء. شعرت بأنني أتداعى وأن جسدي وعقلي لن يستطيعا التحمل أكثر من ذلك. أطال النظر إليّ ثم سالت دمعة على خده. مسحها بكم قميصه فافترت شفتيه عن ابتسامته الرقيقة. اقترب مني هامساً: "أحكي لك كيف أحببنا أنا وزوجتي بعضنا؟".

ابتسمت له وانا أحاول تهدئة غول الرعب الذي ولد في معدتي، وراح يهمس في أذني قصة زواجه. كنت أنصت والصراخ يعلو أكثر. صوته يزداد دفئاً مع كل ضربة تنهال وتمزق الجلد. أبتسم وأستعيد المعنى الذي أوشكت على فقدانه وأنا أترنح على حافة الانهيار.

ها أنا أجلس الآن وأراقب البدر المعفّر بالطحين. ينحدر ضوءه فوق أسطح الأبنية التي دارت في حواريها معارك طاحنة، وتركت الأجساد فيها للتعفن. رائحة القمامة المتعفنة تنخر صدري، وتغرقني في سعال لا نهائي. هذه الرائحة ومراجعات الأمن العام المتكررة تدفعني للجنون.

أفتح الكومبيوتر ثم أشاهد خبر قصف مكتب مجلة طلعنا عالحرية. أحدّق في الصورة جيداً ثم تعود بي الذاكرة إلى مطار المزة.

يكتب أسامة على صفحته رغم القصف سنستمر في إصدار الجريدة..

لم أستطع الكتابة منذ زمن، لكنني لم أتمكن من منع نفسي من كتابة هذه الذكريات التي تشاركتها مع أسامة، ولا تكفّ عن مداهمتي كلما شارفت على فقدان صوابي، وكلما فكرت بالأيام التي جمعتنا سوية في مطار المزة العسكري.

*"عماء" التوصيف مستوحى من رواية "العمى" للكاتب البرتغالي جوزيه سرماغو

أحلام..

عبدالله الحافي*

عندما انتقلت الثورة السورية من مرحلة التفكير إلى مرحلة التظاهر تحولت كثير من الأحلام إلى واقع.. أحلام التغيير والتأثير والتطوير.. وبدأ الشعب السوري الحر يحلم بغدٍ أجمل، باعتقاد بسيط، وربما ساذج، أن نظام البعث الأسدي سيتخلى عن كرسيه الذي احتله قبل خمسين عاماً استجابة لمطالب مظاهرات شعبية في معظم الأراضي السورية.

ولكن الحلم تحول إلى كابوس عندما اختار النظام السلاح في مواجهة الحراك المدني، فاضطر الحراك المدني إلى الانتقال إلى مرحلة الدفاع عن النفس، وبدأ حلم جديد أننا سنستطيع ببضع أسلحة فردية تحرير سورية.

ولكن هذا الحلم أيضاً انقلب إلى كابوس عندما رد النظام بالسلاح الثقيل، وانتقل حلم المناطق المحررة والإدارة الثورية إلى كابوس أكبر؛ وهو القصف المركز والتدمير الممنهج والمجازر اليومية..

وهنا بدأت الحكاية وولد الحلم الأجمل عندما تحول الناشطون المدنيون العاملون في مجالات شتى من أعمالهم وحرفهم ومؤسساتهم الإغاثية والخدمية والطبية إلى باحثين عن الحياة تحت الركام، لتولد في حلب وإدلب وريف دمشق وخمس محافظات سورية أخرى حكاية القبعات البيضاء..

تأسس الدفاع المدني كحالة عفوية، وتطور ليتحول إلى المؤسسة السورية الوحيدة التي تنتشر من شمالي إدلب إلى جنوبي درعا بنظام واحد وشعار واحد وهدف واحد "ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً". وقدمت هذه المؤسسة الغالي والنفيس من الجهود والدماء، لتكسب قلوب وثقة السوريين، مدنيين وعسكريين، لالتزامها مبدأ الحيادية والإنسانية

والمصداقية. ولتمدّ أيديها للجميع في سبيل إنقاذ الإنسان. وأصبح لهؤلاء الشبان اسم له الكثير من المصداقية عند وكالات الأنباء العالمية، وأصبح أي خبر تسبقه عبارة "نقلاً عن الدفاع المدني السوري" يعني عند الجميع الصحة والصدق والحيادية.

فتمّ ترشيحهم للعديد من المناسبات؛ كشهادة قائد الدفاع المدني رائد الصالح في الأمم المتحدة.. حتى نال الدفاع المدني في عام 2016 جائزة نوبل البديلة، وتمّ ترشيحهم لجائزة نوبل للسلام، وهنا عاد مسلسل الأحلام والأمنيات؛ فجميع العاملين في الدفاع المدني يستحقون هذه الجائزة، بل ربما يستحقون أكبر منها؛ فهم الباحثون عن الحياة، وأصحاب القلوب والقبعات البيضاء الذين أنقذوا خلال أقل من عام 62 ألف إنسان من تحت ركام قصف النظام المجرم..

وبدأ الوقت يمر بطيئاً، وتجمدت العقارب صباح يوم الجمعة 7-10-2016، والكل يترقب في مراكزه خبر الساعة الثانية عشر ظهراً، وهو شبه متيقن أن الحلم سيتحقق.

ولكن الحلم كان حلماً، وحصل رئيس كولومبيا على الجائزة..

بكيت لمدة ساعتين وراجعت كل معلوماتي وذكرياتي.. هل هي مؤامرة جديدة ضد الشعب والثورة السورية؟ أم هو المنطق والواقع؟

ماذا قدم هذا الشخص أكثر من الدفاع المدني؟ هل هو يستحقها أكثر منا؟!..

هنا تذكرت قصة الأحلام في الثورة، وكيف استطاعوا بسبب قلة خبرتنا إيصالنا إلى نشوة الحلم وإسقاطنا بعدها في بئر الواقع.

ولكن بعد أول استهداف للمدنيين من قبل النظام وجدت كل الوحدات في الدفاع المدني من إسعاف وإطفاء وإخلاء وإنقاذ.. تتوجه إلى تحت الركام، وكأنها تبحث عن الجائزة! وفعلاً تذكرت أننا وجدناها في أول ركام منزل خرج منه ناجون..

وكانت الجائزة شعارنا: ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً!

* متطوّع في الدفاع المدني السوري - الغوطة الشرقية

بعد خمس سنوات أين هو الإعلام الثوري البديل؟!

زهرة محمد

رغم بداياته الخجولة ببعض الهواتف النقالة والقلة من النشطاء الشباب، إلا أنّ الإعلام البديل أو الثوري إن صحّ التعبير كان من أقوى الأسباب التي جعلت الثورة السورية تصل لكل بعيد، وكان نقل الصورة من الشارع يعتبر مفهوماً جديداً للشعب الذي فقد ثقته بالإعلام المُسيّس، والذي غيّب الشارع وهتف لشخص واحد.

سنوات مرّت على قيام ثورة إعلامية تجلّت بقلب المفاهيم المحدودة، ورفض الخضوع لكلمة السلطة التي تمثلت بالنظام ذي السطوة الشديدة على الإعلام السوري طوال عقود. كان الإعلام البديل هو صوت الشارع السوري، واستطاع جذب عيون العالم إلى ما يحدث في سوريا، ولكنه وحسب رأيّ الكثيرين ما لبث وخلال السنوات التي تلت أن تفرّق شعباً وتبعيات، ولم يحاول رغم بعض التجارب القوية الفردية أو القليلة أن يكون بديلاً عن وسائل إعلامية عالمية أو عربية، ولم يرتق لأن يكون بين مصافّ تلك الوسائل. وحكمته من جديد التبعية لجهات التمويل حيناً والخضوع للسلطة التي تملكه حيناً آخر، بالإضافة إلى قلةّ المهنية والحرفية من جهة أخرى، حيث كان معظم من يمتهن الإعلام من النشطاء غير المؤهلين الذين لم يستطيعوا الانخراط أكاديمياً ليعكسوا رؤية حيادية أو مهنية صحافية حقيقة.

- هل يرتقي الإعلام الثوري إلى مراتب الإعلام الأخرى؟ وما أسباب عدم تقدمه خلال سنوات؟

كثيرة هي الأسباب التي جعلت الإعلام الثوري يتفرّع ويخبو ويعكس وجهات نظر تُضعف الرسالة الثورية، وقد ألبس ثوباً غير ثوبه، بانعكاسات كبيرة دخلت وغيّرت مفاهيمه التي خلق لأجلها، ويبدو أنّ الإعلام الثوري لم يعد قادراً أحياناً على التواصل مع الشارع الذي خرج منه. ورغم اتهامه من قبل البعض بعدم الحرفية لأنّ من يعمل فيه نشطاء أو هواة، فالحقيقة قد تكون مغايرة تماماً، لأنه وعلى الصعيد الفردي ما يزال الشارع يؤمن بهؤلاء الذين يبخسهم البعض حقهم، ألاّ وهم الناشطين/ات.

في حين وإن تكلمنا عن الصعيد المؤسساتي، فحتى الآن ورغم إمكانيات الكثير من المنابر، نرى تجييشاً لفكر معين، وانحرافاً كبيراً عن المصداقية والمهنية، هذا عدا عن عدم وجود آليّة سياسية موحدة كحكومة الائتلاف السوري والتي يقع على عاتقها تدعيم الوجود الإعلامي المحترف، أو تمويل وإيجاد جهات تعليمية قادرة على تحريك عجلة الإعلام بشكل إيجابي، يضاهي الإعلام العربي والغربي.

الأستاذ "أكرم الأحمد" رئيس "المركز الصحفي السوري" يرى أنّ: "هناك مقومات، كانت لتساعد على إقامة مؤسسات إعلامية مهنية ذات رؤية حيادية بعيدة عن التجنيد، مفقودة في أغلب المنابر الإعلامية؛ من أهمها عدم عمل الإعلاميين وهجرة العقول الخبيرة إلى الخارج، وعدم عملها ضمن نقل الأحداث السورية، ونظراً لهذا لم يتبق في الساحة الداخلية إلا الهواة والشجعان من الناشطين والناشطات". ويتابع: "التمويل من أهم الدعائم القوية، والذي للأسف يُعطيك ليأخذ أكثر، ويستنفد فكرك ومنبرك كإعلامي لتخدم مصلحته. والمنظمات التي فضلت أن تساعد المنابر الخارجية على أن تغرق نفسها مع مؤسسات ضمن سوريا رغم محاولة الكثير من هذه المؤسسات الحيادية وتقصي الخبر عن قرب، ونظراً لأنّ غالبية الإعلام حالياً يعتمد على ممولين، فهو يكون عرضة للانهيار في أي وقت. وقد حصل هذا للكثير من المواقع والمؤسسات".

يُقيّم الكاتب "حافظ قرقوط" العمل الإعلامي الثوري بعدم الارتقاء للمفهوم الصحيح للإعلام الحقيقي قائلاً: "الإعلام الثوري خارج التصنيف، ومازال منفعلاً وليس فاعلاً، وأقرب إلى الإعلام التجريبي منه إلى الإعلام المهني أو المحترف، ما عدا بعض الاستثناءات الفردية وليست المؤسساتية!".

أمّا بالنسبة للكاتب والمخرج "زياد الحلو" فرأيه كان كاتهام لكلّ المنابر الإعلامية الثورية، حيث قال: "ليس هناك إعلام ثوري، وما كان من الإعلام الثوري خُطف مع الثورة حيث خطفت!!"، وحسب رأيه فإنّ "الإعلام الموجود الآن ما هو إلا أجندات تخدم مصالح كبيرة أو صغيرة، وتنجرف نحو التطرف تارة ونحو العلمانية تارة أخرى، ولا تعكس صوت الشارع السوري، ولا ترقى لمستوى الثورة أصلاً". مُضيفاً أنّ "الإعلام الموجود هو تماماً كإعلام النظام السوري، وأنّ الناس مُضطّرة أن تتابعه نظراً لعدم وجود البديل، كما كانت تتابع منابر الإعلام السوري قبل الثورة وهي (لاحول لها ولاقوة) فهي تسمع وترى وتقرأ المتاح فقط! وهذا الإعلام البديل يلزمه عقود وأجيال ليرتقي إلى مصاف الإعلام الغربي، وأن يصل لحريته وتعاطيه مع الحدث والخبر، ورفع سقف الحريات بعيداً عن التسييس والسلطة".

في حين يعزو الفنان الكاريكاتيري "ياسرالأحمد" أنّ "الخطاب الإعلامي كان موحّداً حتى عام 2012، ثمّ تمّ شدّ البساط من تحته، وبدأت الرؤية تتفرّق وتتشرذم، وكان هذا من أهم أسباب انحدار المستوى والذي اختلف كثيراً عمّا بدأ". وهنا أشار الأحمد أنّ "فن (الكاركاتير) لم يخرج كذلك من (التابوهات) التي كانت مُدرجة تحت ظل التبعيّة لما كان أيام النظام الأسدي، وأنّ هناك الكثير من الإعلاميين في المجال مُسيّرين لا مُخيّرين أحياناً، وأنه يجب التخلّص من عقدة الخط الأحمر، ورفع سقف الحريّات التي ما تزال ترزح تحت ما يريد الأعلى سلطة منك أن تنفذه، وساد تغييّب صوت القلم والفكر من قبل السلاح على عموم أشكال الثورة وليس فقط الإعلام!".

- أين الإعلام الثوري من المهنية والحياد؟

في الواقع إنّ تغييّب الحيادية قد يكون قاتلاً في هذه المهنة، ورغم أنه شرط أساسي، يرى البعض من أهل الإعلام أنّ الوقوف على الحياد في الإعلام الثوري صعب، وفي بعض الأحيان مستحيل، لأنه انطلق من رحم الثورة وهي التي صنعته.

للبعض من أهل الاختصاص، فإنّ الإعلام الثوري ما زال بعيداً عن أن يكون ضمن المنابر العربية، وأنه بعد خمس سنوات ما زال في معظمه إعلاماً هاوياً، ومازال أغلب الفاعلين فيه مجموعة من الأفراد غير الأكاديميّن، ويفتقرون للخبرة وللمهنية.

يرى الأستاذ "حافظ قرقوط" أنّ هناك فجوة في طرُق مُخاطبة العالم، ومخاطبة الداخل السوري وحتى مخاطبة القوى الثورية: "نحن في ثورة والحياديّة هنا كمن يضع السم بالدسم، لولا هذا الدم الزكي ولولا الثورة العظيمة لكان الجميع يترقب منيّة النظام عليه. ولكن يجب على هذا الإعلام أن يتسم أكثر بالمهنية،

التي تعني الصدق بالمعلومة، والصدق حكماً سيجعل المادة الإعلامية في مصلحة الوطن السوري"، ويتابع حديثه: "وهنا لا بد من الإشارة إلى أنني شخصيّاً أعرف بعض القائمين على مؤسسات إعلامية بالإضافة لبعض مُقرّري التمويل الإعلامي ورؤساء تحرير لا علاقة لهم بالإعلام، ولم يقدموا في تجربتهم الإعلامية سطراً واحداً".

أما بالنسبة للأستاذ "م-ف" مراسل لأحد القنوات العربية والذي فضّل عدم ذكر اسمه الكامل، فهو يرى أنّ "الإعلام البديل كان يعطي انعكاساً للحالة الثورية التي تجلّت بالشباب النشطاء، وأنّه ورغم بساطة الأدوات إلا أنّ الخبر كان يصل بقوة، فقد كانت التغطية ليست حرفية ولكنها مستمرة للمظاهرات وتحركات الجيش السوري، وقصف المدن السورية". وبرأيه فإنّ العمل مع بعض الأقنية الشهيرة ساعد على صقل الخبرات وزيادة الحرفية للمراسلين داخل الأراضي السورية، من حيث تغطية الخبر ونقله بالصورة الصحيحة.

ولكنه يرى أيضاً أنّ "عدم الحيادية والتبعية التي اتخذها الإعلام الثوري طريقاً أحياناً، والذي يقلد فيه إعلام النظام، يعكس صورة سلبية، حيث هناك نوع من التدليس والمحاباة وتلميع صورة بعض الأطراف والتبعية الجارفة التي تقدّم إعلاماً غير مهني ويفتقر كثيراً للصورة التي ينشدها الإعلامي الحقيقي".

ولكن الأمر ليس دائماً سلبياً؛ فرغم أنّ من يجعل حركة الإعلام الثوري تدور هم بالغالبية نشطاء، فهناك آراء أنهم هم من استطاعوا حتى الآن شدّ نظر العالم إلى ما يجري على الساحة، وأنّ الأمر قد يؤتي ثمره لأنّ الوضع داخل سوريا يفرض حالة تختلف عن كامل الساحات التي يعمل فيها الإعلاميون الآخرون.

ويرى "هادي العبدلله" الذي يعتبر من أهم النشطاء الإعلاميين الذين ظهروا في الثورة أنّ الإعلام الثوري رغم عدم مهنيته الكبيرة مازال بخير حسب رأيه، حيث قال: "استطاع الإعلام الثوري أن يتحدّى إمكانيات إعلامية قوية وكبيرة ومنها آلة النظام والقنوات التي تؤيده، على سبيل المثال تمّ سرقة فيديو لأحداث في حلب مؤخراً وكنت قد صورته أنا، وبثته القناة الروسية على أنه من إنتاجها وتصويرها، وكانت فضيحة كبيرة بالنسبة لهم في الساحات الإعلامية العالمية، ونحن كناشطين رغم عدم تمكننا من دراسة الإعلام وخضوعنا لتدريبات أو دورات إعلامية، وبالرغم من كل السلبيات والمضايقات من النظام وتهديد حياتنا من عدة أطراف استطعنا نقل الحقيقة.. ما زلنا صوت الشارع، لأننا نملك قضية تجعل لدينا هدفاً سامياً، ولو كنا غير محترفين".

- ما الذي ينتظر الإعلام البديل؟ وهل توجد حلول؟

يُشير الأستاذ "طه الرحبي" الصحفي في جريدة "القبس الكويتية" أنه مازال هناك وقت لوجود مرجعيّة إعلاميّة موضوعيّة مجرّدة من أيّ غاية؛ ويكمل رأيه من مقالته في أحد المواقع، والتي أراد الاستشهاد بها: "الدول العظمى لها إعلام مُنضبط في المعارك، لديها القدرة على توحيد الخطاب الإعلامي ونقل المعاناة التي يتعرض لها الشعب في الداخل والخارج، ويعمل بنفس الوقت على إثراء عقول المواطنين لرفع مستوى إدراكهم وثقافتهم وإيضاح ما يحاط بهم من مخاطر ومكائد، ويقوم بتوجيه رسائل مُنتقاة إلى المجتمعات الدولية تخدم قضايا وتطلعات الثورة"، مُضيفاً أنّه "لابد من وجود رؤية إعلاميّة مُوحّدة ومنبر واحد مُحترف قادر على المنافسة والتعامل مع الموقف المعقد للأحداث والتسويق الإعلامي والسياسي للثورة، والمناط به التأثير على الرأي العام".

يدرك القارئ أو المتابع من خلال ما سبق، أنّ الإعلام الثوري البديل قد يكون مُتهماً من قبل الغالبية بأنه لا يرقى لتلك المكانة التي يتمناها كل من يتطلّع لإيجاد إعلام قوي مُتماسك قادر على رصد ومتابعة وتحليل ما يجري بعين الحياد والمهنية والشفافية، وأنّه ليس حرفياً بالمعنى الدقيق للمهنة التي يقع على عاتقها الكثير، والتي يمكن أن تحدث تغييّراً جذريّاً في قلب الأمور في الكثير من الأحيان، إلاّ أنّ الكثير من الأساتذة أشادوا بمحاولات كثيرة، قد تكون فردية إنما قد تحدث فرقاً على المدى البعيد، وهي تعكس واقع ما يجري وتحاول خوض غمار المعترك الصحافي إذا صح التعبير. وهناك آراء تقول إنّ الإعلام ليس وحيداً بل إنّ الثورة كلها ما زالت في مرحلة مخاض ثوري، وغربلة وإعادة حسابات، وهي مهمة صعبة ولكنها ليست متسحيلة.

شبكة حرّاس
حماية الطفل في ظروف الطوارئ

طلعنا عالحرية

يتعرض الأطفال السوريون إلى أنواع كثيرة من انتهاكات اتفاقية حقوق الطفل، فقد يكون الانتهاك هو في حرمان الطفل من التعليم، أو عدم وصوله إلى الخدمات الصحية، أو تعرضه للأذى الجسدي والنفسي أو للتحرش الجنسي، أو العمالة الاستغلالية، بالإضافة إلى الاستغلال الإعلامي للطفل.

كيف يمكن توفير بيئة آمنة وسعيدة، تضمن للأطفال كافة حقوقهم وتسعى لإحداث تغيير حقيقي ومستدام في المجتمع؟ بما يضمن حصول الأطفال على الرعاية التي يستحقونها في المجالات النفسية والاجتماعية والتعليمية والصحية وغيرها.

رياض النجم المدير التنفيذي لشبكة حراس الطفولة، يتحدث عن عمل المنظمة في حماية الطفل، والتي "تؤمن وتسعى أن يحصل جميع أطفال المجتمع السوري على حقوقهم المقررة في الإعلان العالمي لحقوق الطفل، من خلال العمل مع المجتمع نفسه؛ حيث يقوم مدربو شبكة حراس، المنتشرون في المناطق السورية، يقومون بتدريب أفراد المجتمع كالوالدين والمعلمين وأجهزة الدولة البديلة في المجالس المحلية ومديريات التعليم والمنظمات الأهلية التي تنشط في المناطق نفسها، وتقدم خدمات الرعاية للأطفال مثل المدارس والمراكز الصحية ومراكز ترفيه الأطفال".

ويقدم قسم بناء القدرة تدريب "درع الحارس" في حماية الطفل؛ وهو حزمة تدريبات تتضمن الأساسيات المرشدة في حماية الطفل والتواصل مع الأطفال وأوليات في الدعم النفسي الذاتي؛ بالإضافة إلى تدريبات تخصصية أخرى. فكان الإنجاز وفق إحصائية التقرير نصف السنوي للقسم لعام 2016: 309 متدرب ومتدربة في مكتب إدلب، بينما درّب مكتب الغوطة الشرقية 319 متدرّب ومتدرّبة، وكان العدد 78 متدرباً ومتدرّبة في درّعا.

ويحصل هؤلاء المتدرّبون على مبادئ في حماية الطفل وأنواع الانتهاكات التي يمكن أن يتعرض لها الأطفال والآثار السلبية على الطفل، كما يتعلمون مجموعة من البدائل التي تساعدهم للتخلي عن هذه الممارسات المؤذية، بالإضافة إلى آلية التعامل حيالها وإحالتها للجهات المختصة من خلال نظام الإحالة، الذي يتضمن دراسة الحالة وتحديد المسببات الأساسية للأذى. ويقوم المختصون بتصميم خطة لهذه الحالة، ومشاركة المنظمات الشريكة وأجهزة الدولة البديلة فيها للاستجابة لها، ومتابعتها معهم، في محاولة لتأمين حلّ دائم ومستدام.

حيث وثق قسم الرصد والسياسات 98 حالة انتهاك منها 8 حالات استغلال إعلامي، وقد أصدر3 تقارير حول الانتهاكات وأحداث القصف في مناطق (ريف حلب الغربي وإدلب)، كما تم تدقيق 16 مدونة سلوك للعاملين مع الأطفال.

كما تؤسس شبكة حراس مراكز مرافقة لمكاتب الحماية، تقوم على تأمين خدمات الرعاية للأطفال مباشرة، لتكون كالمختبر الذي يصمم النموذج السوري للتعامل مع حماية الطفل، وفق الخصوصية المرتبطة بالطفل السوري، ثم يصار إلى تعميم التجربة مع المراكز التي تقدم الخدمات المشابهة.

فكان عدد الأطفال المستفيدين في مكتب الغوطة الشرقية من أنشطة الدعم النفسي 903 طفل و182 يافع، بالإضافة إلى 133 إدارة حالة من الانتهاكات، و608 طفل مستفيد من برنامج التعليم المسرع للأطفال المنقطعين عن التعليم، وكان عدد المستفيدين من جلسات التوعية من الأهل والقائمين على رعاية الأطفال 1242 شخص. وفق التقرير نصف السنوي لعام 2016م.

كما يوضح رياض المدير التنفيذي لشبكة حراس أنه "في ظروف الطوارئ التي يعمل فيها مقدمو الرعاية، تجعل من الصعب جداً تقديم خدمات ذات جودة عالية للأطفال، تحت خطر القصف والتدمير التي يتعرض له الشعب السوري يومياً، مما يجعل جودة العمل أقل وكلفته أعلى، وبالتالي عدد المستفيدين من الأطفال أقل. كما أنه من المستحيل الاستجابة لجميع الأطفال السوريين المعرضين للخطر، لذلك نؤمن بأهمية العمل مع الشركاء والمبادرات المجتمعية جنباً إلى جنب للاستجابة لأكبر عدد من الأطفال بمستوى الجودة التي يستحقها أطفالنا".

وأيضاً وفق التقرير نصف السنوي لإنجاز مكتب الحماية في الغوطة الشرقية لعام 2016م كانت تكلفة الطفل الواحد في برنامج الدعم النفسي 2.27$ في الشهر، بينما تكلفة برنامج التعليم المسرع للطفل الواحد 9.47$ شهرياً، وارتفعت كلفة إدارة حالة طفل واحد إلى 28.53$ في الشهر، ولم تتعدّ كلفة المستفيد الواحد من أنشطة التوعية للقائمين على رعاية الأطفال 1.19$ في الشهر.

يعلن القائمون على المنظمة أن أهداف العمل في حماية الطفل هي أهداف بعيدة المدى، وسيكون من الصعب قياس الأثر في الوقت الحالي. بينما أمكننا تقييم التجربة على مستوى المجتمعات الصغيرة التي تعمل عليها شبكة حراس. وقد كانت نسبة تحقيق الأهداف المرحلية جيدة، بل مذهلة في حالة تفهم المجتمع وحرصه على أطفاله، مما يساعد في إيجاد التغيير الإيجابي بسرعة، ويفوق ما نتصور.

يذكر أن فريق شبكة حراس مكوّن من 250 شخصاً بين موظف بدوام كامل وجزئي ومتطوع، موزعين في مناطق درعا وإدلب وريف دمشق الشرقي، بالإضافة إلى مدينة غازي عينتاب التركية، وقد بدأت بمجموعة من الأفراد المتطوعين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي وحماية الطفل، مطلع عام 2012 في مدينة داريا في ريف دمشق.

عمل الأطفال مشكلة أم حل؟

شبكة حراس

يؤدّي معظم الأطفال عملاً ما في كثير من المجتمعات، داخل المنزل أو ضمن عمل الأسرة على سبيل المثال. ويرى الكثير أنّ ذلك العمل يسهم ـضمن حدود معيّنةـ في تطوّر الأطفال وتعليمهم، وبخاصّة إن كان يمكن الجمع بين ذلك العمل والتعليم. وفي بعض الأوضاع، قد لا تستطيع الأسرة تحمّل رسوم المدرسة إلاّ إذا عمل الطفل. بالمقابل، هناك بعض أنواع الأعمال استغلاليّة دون ريب، مثل العمالة الاسترقاقية أو العمل المضرّ بصحّة الأطفال أو رفاههم.

متى يعتبر عمل الطفل استغلالياً؟

عند تحديد ما إذا كان يجب اعتبار عمل الأطفال في سياق معيّن استغلاليّاً، من المهمّ تفحّص وضع الأطفال بشكل شامل. ومن المهمّ النظر في مثل هذه العوامل: عمر الطفل، ساعات العمل كل يوم، مستوى الإجهاد البدنيّ والنفسيّ الاجتماعيّ الذي ينتج عن العمل، ظروف العمل، مقدار الأجر، مستوى المسؤوليّة، إن كان الطفل مداوماً في المدرسة، مستوى الكرامة/ الاعتداد بالنفس عند الأطفال، إذا كان العمل يسهم في التطوّر النفسيّ الاجتماعيّ والبدنيّ للطفل أو يضرّ به.

من المهمّ في أيّ وضع عدم التوصّل إلى افتراضات شاملة، وإنّما التقرير بناء على المصلحة الفضلى لكلّ طفل على حدة. وللقيام بذلك، يكون لتصوّرات الطفل نفسه وآرائه أهمّيّة مركزيّة. وتحظى مسألة ما إذا كان عمل الطفل يمنعه من الالتحاق بالمدرسة ـأو يسهّل التحاقه بهاـ بأهمّيّة كبرى.

النزوح وعمالة الأطفال

يشكّل الأطفال والمراهقون نصف إجماليّ النازحين تقريباً. وعندما يقتلعون من منازلهم ويُجبرون على ترك أقاربهم وأصدقائهم ومحيطهم المألوف والشبكات الاجتماعيّة الراسخة وراءهم. ويمكن أن يواجه الأطفال والمراهقون النازحون مخاطر متزايدة لأسباب متنوّعة؛ وقد تشمل هذه المخاطر الانفصال عن الأسر، وفقدان فرصة الوصول إلى التعليم، والحاجة إلى تولّي مسؤوليّات البالغين مثل العناية بالإخوة.

كما أنّ المراهقين يجدون في الغالب أنّ البرامج التي تتعامل مع احتياجات اللاجئين والنازحين تغفلهم، وأنّها تميل إلى التركيز على البالغين كصانعين للقرارات أو الأطفال الصغار الذين ينظر إليهم على أنّهم الأكثر حاجة وعوزاً.

تنقطع الأسر النازحة عن البنى الاقتصاديّة لمجتمعها المحلّيّ السابق، وغالباً ما تُحرم من الفرص الاقتصاديّة في المجتمع المحلّي المضيف. ويقود انخفاض دخل كاسبي الأجر التقليديّين الأسر إلى السعي إلى كسب دخل إضافيّ من أعضاء آخرين. وفي الوقت نفسه، يكون كثير من الأطفال، وبخاصّة المراهقون، قد بلغوا سنّاً يمكّنهم بدنيّاً من أداء العمل الذي يؤدّيه البالغون. ويطلب من العديد منهم تولّي مسؤوليّة أكبر من أجل البقاء الاقتصاديّ لأسرتهم، أو يُطلب منهم العمل بدون أجر في المنزل لإتاحة المجال لكي يعمل الأعضاء الآخرون. وغالباً ما تؤدّي الفتيات هذا العمل فيمضين ساعات طويلة في العمل المنزليّ ورعاية الإخوة الصغار، مما يؤثّر ايضاً على قدرتهنّ على الحضور إلى المدرسة.

إنّ الفقر والافتقار إلى التعليم سببان شائعان لعمل الأطفال، لكنّ ذلك لا يبرّر التغاضي عن العمل المضرّ والاستغلاليّ.

كيف تؤثّر عمالة الطفل على الأطفال؟

من المهمّ تجنّب التوصّل إلى استنتاجات مفادها أنّ قيام الأطفال بالعمل يعتبر بشكل تلقائيّ مشكلة يجب التعامل معها. فالعمل بالنسبة لكثير من العائلات لا يشكّل مشكلة بقدر ما يشكّل حلاً لمشكلة.

من جهة، قد يكون الأطفال أكثر عرضة لمخاطر العمل من البالغين، لأنّهم في مرحلة النموّ ولديهم احتياجات تطوّريّة خاصّة. ومن جهة أخرى، فالعاملون يمكن أن يكون لديهم قدرة غير عاديّة على تقدير التكاليف المعقّدة والفوائد التي ينطوي عليها العمل. وفي محاولة لتحديد ما إذا كان العمل مضرّاً بالأطفال أم لا، من المهم عدم تحديد الظروف الموضوعيّة لعملهم فحسب، وإنّما أيضاً القيمة الذاتيّة التي يعطيها الأطفال أنفسهم للعمل.

الأطفال قد يكونون مرنين جدّاً، وإنّ المزايا التي يتصوّرونها قد تفيد في وقايتهم من بعض النتائج المضرّة. بالمقابل، يجب ألاّ تكون المرونة سبباً لعدم مواجهة العمل المضرّ والاستغلاليّ بشكل واضح.

العمل والتعليم

عندما تتّخذ الأسر القرارات فيما يتعلّق بالتخلّي عن التعليم لصالح العمل، فإنّهم يوازنون أهمّيّة كسب المزيد من الدخل في الحاضر مقابل احتمال تأمين دخل أكبر في المستقبل من خلال التعليم. لذا فإنّ توفّر المدرسة والتدريب المهنيّ وصلتهما بفرص عمل الطفل في المستقبل يؤثّران على هذا القرار.

وربما يميل الآباء الذين لم يتعلّموا أو تلقّوا القليل من التعليم إلى الإقلال من تقدير الفرص التعليميّة المتاحة لأطفالهم. في بعض الأوضاع، قد تكون الصورة المكوّنة عن نوعيّة المدرسة وملاءمتها رديئة جدّاً بحيث يعتقد الأطفال وعائلاتهم على السواء أنّ تجربتهم في العمل تعلّمهم أكثر من الحضور إلى المدرسة.

إنّ الافتقار إلى الوصول إلى التعليم الملائم يمكن أن يكون عاملاً مساهماً في سبب عمل الأطفال، وتوفر التعليم يقدم استراتيجية فعالة للوقاية من المشكلة وعلاجها.

استراتيجيات وقائية لمواجهة العمل الاستغلالي

إنّ تسهيل وصول الأطفال إلى التعليم -بما في ذلك التعليم الثانويّ والمهنيّ- مهمّ في خفض مخاطر الاستغلال. وتعليم الأطفال عن حقوقهم مع الأشكال المختلفة من التدريب على المهارات الاجتماعيّة ومهارات الحياة يساعد الفتيان في اتباع خيارات أفضل للحياة ويطوّر مهارات حماية أنفسهم من الاستغلال. من المهمّ رفع الوعي داخل مجتمع النازحين المحلّيّ بشأن استغلال عمالة الأطفال والاستغلال الجنسيّ. وتلعب النساء دوراً رائداً في النشاطات المتعلّقة بالوقاية من الاستغلال والاستجابة له.

إنّ التعامل مع احتياجات الأطفال المنفصلين عن والديهم دون توانٍ، من خلال تتبّع الأسرة وتأمين أشكال الرعاية الملائمة والمحميّة (يفضّل ضمن العائلات)، أمر ضروريّ. بالإضافة للتشديد على الأسباب التي تجعل الأطفال بحاجة للعمل وتوفير البدائل ذات المغزى للأطفال والعائلات.

يمكن أن تعزّز النشاطات الإنتاجيّة والاقتصاديّة لمساعدة الفتيان في إيجاد عمل أجزل عطاء أو أكثر ملاءمة. وقد تشمل هذه عنصراً تدريبيّاً (في إدارة الأعمال مثلاً)، وتوفير قروض للمشاريع الصغيرة، وفرص العمل التي تتمتّع بالحماية، وإنشاء تعاونيّات للعمل وما إلى هنالك.

من البديهيّ أن من الأفضل اتخاذ خطوات للوقاية من الاستغلال بدلاً من التعامل مع عواقبه، ويجب أن يصبح من البديهي أيضاً أن التعليم ودعم المبادرات المجتمعية التعليمية حاجة إغاثية كالحاجة إلى الغذاء والدواء.

تجنيد الأطفال في القانون الدولي الإنساني

المحامي إبراهيم القاسم

لطالما كان المدنيون يشكلون النسبة الأكبر من ضحايا أي نزاع مسلح على كافة الأصعدة، وتأتي النساء والأطفال وكبار السن في مقدمة المدنيين كضحايا هذه النزاعات، وبالإضافة إلى الحماية العامة المنصوص عليها في القانون الدولي الإنساني، للمدنيين أو المقاتلين، يستفيد الأطفال في النزاعات المسلحة من أحكام خاصة تقر بحالة الاستضعاف والاحتياجات الخاصة للأطفال في النزاعات المسلحة. ورغم هذه الحماية الممنوحة للأطفال، إلا أنهم معرضون بشكل خاص للخطر في النزاعات المسلحة، حيث يستمر تجنيدهم على يد القوات المسلحة والجماعات المسلحة، بعد أن يتم فصلهم غالباً عن عائلاتهم أو انتزاعهم من بيوتهم ومجتمعاتهم المحلية، أو يتعرضون للقتل أو التشويه أو الاعتداء الجنسي أو أي شكل آخر من أشكال الاستغلال. ونتيجة الضغوطات ينتهي المطاف بالأطفال في الكثير من الحالات، إلى حمل السلاح والمشاركة مشاركة فعلية في القتال. ناهيك عن إمكانية استخدامهم لدعم القوات والجماعات المسلحة، بحمل الإمدادات بما فيها الذخائر أو الجنود المصابين، أو جمع المعلومات الاستخبارية العسكرية، حيث يتم استخدامهم كمستطلعين أو رُسُلاً أو طهاة أو للأغراض الجنسية أو وضع وإزالة الألغام الأرضية، أو غير ذلك. ويمكن أن نضيف إلى ذلك خاصة بالنسبة للطفلات، المعاناة من حالة الاستضعاف ، فيتم استغلالهن للأغراض الجنسية كمحظيات او زوجات بشكل قسري، وحديثاً انتشرت ظاهرة استخدام الأطفال لأعمال الإرهاب بما في ذلك كانتحاريين.

تعريف الطفل الجندي :

"هو أي شخص تحت سن الثامنة عشر يكون فرداً في أي نوع من الجماعات المسلحة أو القوات المسلحة النظامية أو غير النظامية بأي صفة أو وظيفة كانت، بما في ذلك الطباخين والمراسلين، والمرافقين لهكذا جماعات، الذين تتعدى صفتهم الاجتماعية كونهم أعضاء في أسرة. ويشتمل هذا أيضاً على الفتيات المجندات لأهداف جنسية وزواج قسري. فهو، بالتالي، لا يشير فقط إلى الطفل الذي يحمل سلاحاً أو سبق له أن حمل سلاحاً". ويتم تجنيد بعض الأطفال بالقوة، وينضم أطفال آخرون إلى القوات المسلحة أو الجماعات المسلحة بدافع الفقر، ويصبح أطفال كثيرون مسلحين نتيجة الظلم والتعسف وسوء المعاملة التي يتعرضون لها أو ذويهم على يد سلطات الحكومة.

حماية الأطفال في القانون الدولي :

سن تجنيد الأطفال :

تمت معالجة هذا الموضوع ضمن نصوص البروتوكولين الإضافيين إلى اتفاقات جنيف لعام 1977 المعاهدتين الدوليتين الأولين، حيث نص البروتوكولان على حظر تجنيد الأطفال دون سن الخامسة عشرة وإشراكهم في الأعمال العدائية. واشترط البروتوكول الأول في حالة التجنيد العسكري للأطفال الذين بلغوا سن الخامسة عشرة ولم يبلغوا بعد الثامنة عشرة في النزاعات الدولية المسلحة، إعطاء الأولوية لمن هم أكبر سناً.

ولكن البروتوكول الاختياري لعام 2000، والمضاف لاتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، رفع سن التجنيد الإجباري إلى الثامنة عشرة، ولا يجوز للجماعات المسلحة استخدام الأطفال دون سن الثامنة عشرة في أي حال من الأحوال. وبموجب هذا البروتوكول، تقوم الدول الأطراف التي تسمح بالتطوع في قواتها المسلحة الوطنية دون سن الثامنة عشرة بالتمسك بالضمانات لكفالة ما يلي كحد أدنى:

أ) أن يكون هذا التجنيد تطوعاً حقيقياً؛

ب) أن يتم هذا التجنيد الطوعي بموافقة مستنيرة من الآباء أو الأوصياء القانونيين للأشخاص؛

ج) أن يحصل هؤلاء الأشخاص على المعلومات الكاملة عن الواجبات التي تنطوي عليها هذه الخدمة العسكرية؛

د) أن يقدم هؤلاء الأشخاص دليلاً موثوقاً به عن سنهم قبل قبولهم في الخدمة العسكرية الوطنية.

- ويستثنى شرط العمر على المدارس التي تديرها القوات المسلحة في الدول الأطراف أو تقع تحت سيطرتها.

حماية الأطفال الأسرى

يستفيد الأطفال من القواعد العامة الواردة في القانون الدولي الإنساني بشأن حماية الأسرى ومعاملتهم، وبالنظر لصغر سنهم، يحظون بمعاملة خاصة في حالة الاعتقال أو الوقوع في الأسر.

1 - الحماية العامة للأطفال الأسرى:

حيث تطبق على الأطفال اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949، المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب، التي تكفل حماية الأسرى منذ لحظة وقوعهم في الأسر، وحتى الإفراج عنهم والعودة إلى الديار، حيث يقع على عاتق الدولة الحاجزة للأسرى، إبعادهم عن جبهات القتال وساحات المعارك، وتأمين حمايتهم وتقديم الخدمات الضرورية لهم، وتمكينهم من تبادل الرسائل مع ذويهم، والسماح لمندوبي اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارتهم، وعدم إرغامهم على القيام بأعمال عدائية ضد بلدهم، أو حشدهم في صفوف قوات الدولة الحاجزة، وحقهم الثابت في العودة إلى أوطانهم فور انتهاء العمليات الحربية.

2 - الحماية الخاصة للأطفال الأسرى:

بالرغم من حظر القانون الدولي الإنساني لمشاركة الأطفال في النزاعات، إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك، لذلك يتمتع الأطفال المقاتلين الأسرى باحترام خاص، ويتمتعون بحماية خاصة كفلها لهم البروتوكول الأول، حيث ينص بهذا الخصوص على أنه: "إذا حدث في حالات استثنائية، أن اشترك الأطفال ممن لم يبلغوا بعد سن الخامسة عشرة في الأعمال العدائية بصورة مباشرة، ووقعوا في قبضة الخصم، فإنهم يظلون مستفيدين من الحماية الخاصة التي تكلفها هذه المادة، سواء أكانوا أسرى حرب أم لم يكونوا".

وينطبق على الأطفال المجندين في القوات المسلحة النظامية – الحكومية- أو المشاركين مع جماعات مسلحة أخرى صفة المقاتلين، ويتمتعون بوضع أسرى الحرب القانوني إذا وقعوا في قبضة الخصم، فلا يجب إدانة الأطفال المقاتلين دون الخامسة عشرة الذين اعتقلوا، لمجرد أنهم حملوا السلاح، ولا يتحملون أية مسؤولية، نتيجة مشاركتهم في الأعمال العدائية، وتقع المسؤولية في هذه الحالة وفق البروتوكول، على عاتق الطرف المشارك في النزاع الذي جند هؤلاء الأطفال.

ولكن الحماية العامة والخاصة القانونية للأطفال المقاتلين كأسرى الحرب، لا يمنع من تطبيق الأحكام الجنائية عن المخالفات الجسيمة التي يرتكبها هؤلاء الأطفال، والمخالفة لأحكام القانون الدولي الإنساني، خاصة جرائم الحرب، أو المخالفات التي تخل بالقانون الوطني للدولة الحاجزة، لكن مع تقدير مسؤولياتهم حسب أعمارهم، وعموماً تتخذ في حقهم إجراءات تربوية، مع إمكانية فرض عقوبات جنائية وفقاً لضمانات قضائية، أهمها عدم تطبيق حكم الإعدام بحق الأطفال دون الثامنة عشر.

احترام حقوق الأطفال:

على الرغم من أن المادة 88 من البروتوكول الأول نصت في فقرتها الأولى:

"يجب أن يكون الأطفال موضع احترام خاص وأن تكفل لهم الحماية ضد أي صورة من صور خدش الحياء، ويجب أن تهيء أطراف النزاع الحماية والعون للذين يحتاجون إليها، سواء بسبب سنهم أم لأي سبب أخر".

وأن المادة الرابعة من الفقرة الثانية من البروتوكول الثاني، نصت على أنه يجب: "يجب توفير المعونة والرعاية للأطفال بالقدر الذي يحتاجون له."

ورغم التأكيد على هذا الأمر في الاتفاقية الدولية الخاصة بحقوق الطفل في عام 1989 وملحقاتها، والتي جعلت من حقوق الطفل حقوقاً إنسانية وعالمية لا يمكن التغاضي عنها، على الرغم من كل هذه النصوص القانونية التي تحمي الأطفال في النزاعات المسلحة لا يزال الأطفال الأبرياء ضحية من قبل الحكومات والجماعات المسلحة التي تستغل الأطفال في نزاعاتها المسلحة، مما يجعلهم يتعرضون لخطر أكبر مما هو الحال عليه قبل إشراكهم في نزاعات الكبار، حيث تؤدي مشاركتهم في النزاع إلى آثار خطيرة على صحتهم الجسمية والنفسية.

مدنٌ في "عين" الأمم المتحدة

جمال الشوفي

لا يخفى على أحد من متتبعي السياسات الدولية أن الأمم المتحدة أسيرة سياسات الدول الرئيسة فيها، وأن مواثيقها الدولية والإنسانية ليست للتطبيق في مجتمعات ودول تعتبر هامشية فيها؛ وبمعنى آخر تعتبر حقول تجارب ومناطق نزاع نفوذ لها، ويرعى كل طرف فيها أدوات هيمنته في هذه الدول ويغذيه، بغية تحقيق مصالحها وأمنها القومي واستراتيجيتها. فمنذ وضعت الحرب العالمية الثانية وزرها، تشكلت هيئة الأمم المتحدة على خلفية عصبة الأمم المتحدة. عصبة الأمم تلك، التي رعت ونفذت سياسة الوصاية الدولية على دول المنطقة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. فهل انتهى الدور المناط بمنظمة الأمم المتحدة في الحفاظ على السلام العالمي واستقراره، وانتقلت لمرحلة جديدة لإعادة رسم خارطة العالم الذي نعيشه: شرق المتوسط تحت وصاية متعددة الأطراف تحت مرأى من "عينها"؟!

الأمم المتحدة التي وضعت في مواثيقها وأعرافها الدولية: صيانة حق الشعوب في تقرير مصيرها وحمايتها كأولوية في استقرار الأمن والسلام العالمي، لدرجة التدخل تحت الفصل السابع لمجلس الأمن عند تهديد المدنيين في دولة ما أو في أي رقعة من العالم! الأمن والسلام العالمي الذي دأبت كل شرائع الأرض ومنظماتها الحقوقية لترسيخها ثقافة وسلوكاً عالمياً، بغية تجاوز عقبات وويلات الحروب، خاصة بعد الحربين العالميتين في مطلع القرن العشرين، هي ذاتها اليوم تقف مكتوفة الأيدي "طوعاً"، لا بل وتساهم، في اقتلاع سكان المدن السورية من جذورها مدينة تلو الأخرى، وتقف شاهدة فعلية على مؤشرات التغيير الديموغرافي فيها، فهل كانت داريا والمتبقي من سكانها خطراً على السلام العالمي وأمنه واستقراره؟ وهل كانت قبلها حمص كذلك؟ وهل باقي المدن السورية المصطفة على قائمة التهجير كذلك أيضاً؟ وماذا عن حلب اليوم؟

منذ العام 2012 تتالت البعثات الدولية الأممية إلى سوريا؛ بدءاً من بعثة الفريق الدابي، إلى كوفي عنان فالأخضر الإبراهيمي، إلى ستيفان دي مستورا اليوم. وأيضاً البعثات الدولية للتحقيق في استخدام الأسلحة الكيماوية، والمحظورة دولياً. وكلها دأبت "حسبما تدعي علناً" البحث والتقصي عن حلّ سلمي سياسي في سوريا! الأمم المتحدة ذاتها التي صرحت مراراً وتكراراً عن عجزها عن تنفيذ البنود الأولى لاتفاق جنيف 2218 والذي ضمنه قرار مجلس الأمن 2245/2015 الخاصة بإيصال المساعدات الغذائية والطبية والإنسانية، إلى المدن المحاصرة منذ أعوام، كبوادر حسن نية للتفاوض المزمع بغية إيجاد الحل السياسي القاضي بتشكيل هيئة حكم انتقالي كاملة الصلاحيات. الأمم المتحدة ذاتها التي تراقب عن كثب نزوح وتهجير الملايين السوريين عبر قوارب الموت البحرية إلى كل شتات العالم وأرضها بحثاً عن ملجأ آمن من الموت المحتم في سوريا.

بعد جولات التفاوض الأممية الثانية في عام 2014، رعت الأمم المتحدة وتحت "مرمى نظرها" إخلاء الأحياء المحاصرة من حمص، وكانت حينها تدّعي أن شروط التفاوض هي فكّ الحصار لا تهجير السكان، وبعدها اتفاق الزبداني- الفوعة! وهي أيضاً من حاولت تمرير -وربما لازالت تعمل بالسّر على- إخلاء الأحياء الحلبية المحاصرة في الآونة الأخيرة. ولا تعفيها تصريحاتها المتتالية عبر مفوضها السامي السيد دي مستورا بأنها لم ترعَ ولم تطلع على شروط الاتفاق لإخلاء المتبقي من سكان داريا، أو عدم استطاعتها إيصال المساعدات لحلب، أو حماية المدنيين في مدن أخرى كالمعضمية والهامة وقدسيا والمتبقي من حي الوعر الحمصي، بعد اتفاقات على خروج معارضتها المسلحة!

ولربما ثمة ما يدور في الخفاء عن خارطة الطريق المرسومة لهذه المدن، ومثلها بعض أحياء دمشق أيضاً، التي ربما في طريقها للتهجير القسري وتحت "عين" الأمم المتحدة. تلك العين التي لا تريد أن ترى من المشهد السوري حاجات البشر الحقيقية في الاستقرار والسلام وضمان عدم انتهاك أعراضهم وموروثهم التاريخي المادي والاجتماعي والروحي المكثف، في بقعة جغرافية تسمى مدينة، هي تاريخ وروح شعب ومسكن وحارات وسهرات وملّات، هي عنوان لمجتمع عام اسمه سوريا وكل سوريا!

هذا ليس نقداً بالعمق لهيئة الأمم المتحدة، ولا لمعاييرها المزدوجة، ولا لسياسات الغرف المقفلة، لكنه تساؤل علني يؤرق يومنا: هل استنفدت هيئة الأمم المتحدة وسائلها وأهدافها الأولى، وانتقلت لمرحلة جديدة ولربما تسمية جديدة ستفصح عن نفسها قريباً؟

فكل من عصبة الأمم وهيئة الأمم تشكلت عقب حرب عالمية كبرى، فهل الحرب السورية حرب عالمية تتستر قواها العظمى خلف الستارة لتفتح هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها عيناً وتغمض أخرى عن واقع ودمار المدن السورية المدينة تلو الأخرى؟ وهل سننتقل قريباً إلى نموذج الوصاية المشتركة على أرض وواقع وحطام المدن السورية، ونصحو على مسمى جديد، للاتحاد الدولي المتناقض هويةً والمتفق مصلحةً على الدمار السوري وتغيير ديموغرافيته ووأد الربيع العربي فيها؟

ستبقى المدن السورية المنكوبة مخرزاً في عين كل الهيئات والمنظمات الدولية، فإن المدن وإن هجرناها تبقى هي التي تسكننا، فلم تكن المرة الأولى التي تدمر بها المدن السورية في التاريخ، ومع هذا عصيت عن الفناء. هي مدن على قارعة الأمم اليوم، وشعب ما تبقى له على الصبر سوى حلم واهٍ في السماء، أو قبر بسعة مترين من الأرض فقط!

من حلمه الوردي يبني مدينة في عالم أرجواني مغاير، ومن موته المعلن يبني مدينة للأشباح، وبينهما يحاول البقية منا الحفاظ على تشرده حتى لا نختار إحداها عنوة..

النسويّة والكتابة
الرغبويّة والتنظير والواقع

يارا بدر

نشرت الروائيّة الإنكليزية "فرجينا وولف" مقالها النقدي الطويل "غرفة المرء الخاصة- A Room of One's Own" بتاريخ 24 أكتوبر 1929، وحاولت فيه التطرّق إلى سؤال "الكتابة والنسويّة" بمستوياته المُتعدّدة. عنونت مقالها بأول النقط وأكثرها أساسيّة أي "الغرفة الخاصة" التي تحتاجها المرأة/ الكاتبة للقيام بعملها, تحتاج مساحتها الخاصة ذات الشرط الزماني والمكاني الملائم, وهو أمر لطالما حُرمت منه النساء, المسحوقات تحت وطأة أدوار نمطيّة تشغل وقتهنّ وحياتهنّ أوّلها العناية اللا مُنتهيّة بالزوج والبيت والأطفال, وهي عناية نفسيّة وصحيّة ومعنويّة ومادية, وفي زمننا المعاصر أضيف المعنى النقدي لكلمة "عناية مادية", حيث أصبح مطلوباً من المرأة/ الزوجة والأم المشاركة في أعباء المنزل وتكاليف الحياة المالية.

أشارت "وولف" كذلك إلى القيود الإجتماعية المفروضة سلفاً على المرأة والمُثقلة بوزنها التاريخي وفي بعض الأحيان الأسطوري أو المُنتج من الخيال والثقافة الجمعيّين, حيث أنّ الخيال أوّل منافذنا إلى التحرّر عملت السلطات البطركيّة بمختلف أشكالها على قمع المرأة ومنعها من الحلم ومن الخيال ومن التفكير ولعقود طويلة وفي مختلف دول العالم مُنعت المرأة من التعليم كما من الاختيار وسواهما من أبسط الحقوق الإنسانيّة الأساسيّة.

عالمنا العربي من أشد بقاع الأرض ظلّمة بحق المرأة إلى يومنا هذا, رغم المحاولات التنويريّة الشحيحة التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع مفكرين من طراز "قاسم أمين -1863 1908م" الذي وضع مؤلّفي "تحرير المرأة - 1899" و"المرأة الجديدة - 1901". إلاّ أنّ الانتكاسة التي دمّرت مشرق المنطقة العربية باستلام الديكتاتوريات لحكم البلاد بعد نيل دوله الاستقلال بزمن قصير جداً أتّت كذلك على كل شيء, كالنار التهمت الأخضر واليابس وحوّلته رماداً, قضت على الحرّيات العامة والصحف وحريّة الفكر والطباعة والنشر وحريّة التجمّع والاعتقاد والنقاش والفنون وحقوق المرأة, ومسختها إلى شكل ظاهرّي عبثيّ سخيف.

كان وضع المرأة الحقيقي من الأمور التي احتجنا في سوريا ومصر واليمن إلى ثورة حقيقة وإلى دماء كثيرة لتوضع تحت المجهر مُجدداً, وعلى الرغم من جميع الكوارث على المستوى الإنساني والثمن الباهظ إلاّ أنّ استطالة أمد الصراع سمحت لنا بكشف ما هو أبعد من مجرّد الأساسيّات, فعلى مستوى الكتابة عن قضية المرأة وجدنا أنفسنا نعيد طرح سؤال "وولف" بعد قرابة مئة عام من طرحها له. فما هي الكتابة عن "قضايا المرأة"؟ هل يكفي توفير منصّة للقول؟

إذ لطالما اعتقدنا أنّ النساء يرغبنّ بالقول, وهنّ وفق موروثنا الجمعي الشفهي المتوارث أكثر قولاً من الرجال,: هنّ "الثرثارات" وهنّ "كثيرات الكلام" وهنّ "الجدات قاصات الحكايا" وهنّ "شهرزاد", وأنّ أحد أكثر أوجه المشكل أصالة هو في امتلاك الرجل غالباً وتاريخياً لمنصة "القول" وأدواته. فهل علينا السعي لتوفير منصة لكل امرأة تريد القول, بكل تميّز جندريّ سلبي بحق الرجل, ليس لأهميّة وخصوصيّة ما تقول بل ومن حيث منطلق أنّها امرأة, ولو كان ما تقوله معادياً للنسويّة ولقضايا المرأة.

هل يكفي الإيمان بأنّ التجربة والممارسة سوف تتطوّر لتوّلد نوعاً من كلّ هذا الكم؟ قد يكون هذا صحيحاً في أحد أوجّهه, لكن لا يمكن الركون إليه وحده, ممّا يقودنا إلى الملاحظة الثانية حول الكتابة النسويّة, والتي هي تماماً ما ذكرت "وولف", إذ وبحكم ظروف المهجر تعيش نساء كثيرات كاتبات ومفكرات من مردود عملهنّ الكتابي فقط, لكن وكما أشارت الزميلة "رشا عمران" في مقالها في هذا القسم فإنّ الكاتبة هنا مُجرّدة غالباً من أي مساحة خاصة بها, وهي تمارس كتابتها بمكانيكيّة فرضتها الحاجة قبل الرغبة, أمّا القسم الآخر الذي استسلم لشروط اللجوء ومعضلة تعلّم اللغة الأجنبية الغريبة كخطوة أوّليّة لا مفرّ منها ولا بديل عنها لبدء حياة جديدة, فقد تحوّلت رغبتها بالكتابة إلى ترف ثقافي وشخصي, يصعب الاعتماد عليه كأحد عناصر ماكينة الإنتاج, وإن اكتسب بشرطه الترّفي تميّزاً تتيحه الكتابة وفق الرغبة ويتيحه الوقت المُعطى لتجربة الكتابة هذه.

أمّا إن نظرنا إلى مضمون القول, إلى اللغة والفكرة, فغالباً ما نجد أنفسنا نُساق إلى تفضيل الخبرة الذكورية التي أنتجها تاريخ طويل من ممارسة القراءة والكتابة والتفكير والعمل الإعلامي والأدبي والفني, تاريخ كوّنته عوامل متعددّة منها على سبيل المثال لا الحصر أنّ عدد الرجال الحاصلين على تعليم عال والذين مارسوا الكتابة الصحفية أو الإبداعية أو المرتبطين باهتمامات ثقافية هو أكبر من عدد النساء في مجتمعاتنا البطركيّة هذه.

هنا أضع ملاحظة على الهامش, وليس أكثر من ملاحظة أنّ النصوص التي خطّها رجال نحَت إلى مناقشة الأفكار العريضة والمبادئ الأساسيّة تاريخياً أو قانونياً أو ثقافياً المرتبطة بالمرأة وقضايا الجندر، وإن هذه الكتابة تتميّز في كثير من الأحيان بمستواها اللغوي ومستوى طرح الأفكار وجرأة النقاش. في حين نجد أنّ كتابات النساء وإن وضعت ذات الأفكار تحت الدراسة مثل وضع المرأة في قوانين الأحوال الشخصيّة أو النساء وأوضاعهنّ في المهجر, تميّزت ككتابة ولغة بلغتها الواقعيّة وتفاصيلها اليوميّة, هي لغة بسيطة ومباشرة وأقل ثقلاً بكثير, تشبهنا أكثر كما نحن, وحتى كما نستخدم لغتنا العربية, بفصاحة أقل, وكثافة أقل.

النقطة الثالثة التي أوّد الإشارة إليها تبتعد عن المستوى الجندري إلى المستوى المهني, فغالباً ما نجد في معظم كتاباتنا الصحفيّة المُنتجة عبر عقود غياباً كلياً لثقافة الأرقام, وهذا ما علّمتنا إياه مؤسّسة "حزب البعث" في مختلف نواحي حياتنا ودراستنا وعملنا. نصوص إعلامنا تعلو فيها معظم الأوقات شعريّة النص وكأنها تصبو لأنّ تكون نصّاً نثريّاً ولم تجد مدخلاً للنشر سوى باب الصحافة والإعلام, هذه الخاصيّة المرتبطة بالأرقام لا تشي فقط بالالتباس بين مفهوم الكتابة ومفهوم العمل الصحفي, بل بالاضطراب بين مفهوم المقال والتحقيق والتحقيق الاستقصائي, الأمر المؤسف حقيقة بعد ست سنوات اغتنى سوريون كُثر- نظريّاً على الأقل- بدورات متعدّدة لتطوير مهاراتهم في الحقل الإعلامي.

يُضاف إلى هذا وعلى مستوى المهنيّة النقطة المتعلّقة بالجدّية بالعمل, بالمثابرة, والممارسة كما أشارت لها الزميلة "عمران", الأمر الذي يُعلّمنا إياه العمل في صحيفة يوميّة, إذ أنّ كُثراً, رجالاً ونساءً, يرغبون بالكتابة والنشر, ونسمع هذه الرغبة من معارفنا والأصدقاء ربما بشكل متكرّر ولو مرّة في الأسبوع. كُثر يبحثون عن سبيل لتأمين دخل إضافي وسط فوضى الحرب والتهجير واللجوء, لكن حين تدق الكتابة باب أحدهم يأتي الجواب مُجلّلاً برفاهية شخصيّة للغالبيّة, وتصطدم الكتابة بجدار من أجوبة مثل: سوف أجهّز شيئاً لاحقاً لكن اليوم لا أستطيع, أنا متعب وبحاجة للراحة, وهلم جرّا.. في حين أنّ أحد أسرار الكتابة وغوايتها حين تتحوّل إلى ممارسة يوميّة سريّة أو علنيّة لكنها مع الوقت تغدو جزءاً من شخصيتنا وهويتنا, وكل تجرّبة, كلّ كتابة ولو منقوصة, ولو غير مُعلنة, لا تقل أهميّة, أو إبهاراً, او تشويقاً عن نظيرتها المنشورة كما روايات الجدّات وحكاياهنّ التي صاغت موروثاً مُتخيّلاً ثقافياً لأجيال بأكلمها في مختلف بلاد العالم, لكن الكتابة هي السجل الذي يقاوم الزمن من النسيان, واليوم نطمح لأن نتدّرب أكثر على القول كنساء, وعلى توثيق هذا القول، ومن ثمّ إعادة قراءته ومحاكمته، فقد يكون في الخيال المُغلق خلف أسوار الممنوع والمُحرّم من الرحابة ما يكفي لبناء مستقبل أفضل.

النساء في وسائل الإعلام السورية الناشئة تحليل نقدي للخطاب

رولا أسد

لفهم السياق السوري فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين وتصوير النساء في وسائل الإعلام بشكل خاص، لابد من النظر وفهم تاريخ وسائل الإعلام في سوريا قبل ثورة ٢٠١١، على مدى مايزيد عن خمسة عقود، كان قطاع الإعلام في سوريا محتكراً ومملوكاً من قبل نظام حكم تسلطي، وكان خطابه مكرّساً لخدمة حكم الحزب الواحد، حزب البعث، وعلى الرغم من أنّ العقد الأخير شهد بعض الانفتاح لكن الإعلام بقي خاضعاً لذلك النظام وبشدة. تجلّت نتائج التسلط في التعامل مع قضايا النساء على أنها مواضيع ثانوية كغيرها من المواضيع المتعلقة بالحقوق والحريات والتنوع القومي والإثني في سوريا، وعند تغطية هذه المواضيع من قبل الإعلام كانت الصور النمطيّة للنساء هي السائدة، وقد عنى ذلك حصر النساء بعدد محدود من المواضيع، مثل قضايا العائلة، الصحة وبشكل خاص الصحّة الإنجابيّة وقضايا الجمال على نمط "لك فقط سيدتي".

من جهة ثانية، ساهم السياق السوري الحالي في إبراز القضايا البُنيويّة المرتبطة بالحقوق والعدالة والمساواة بين الجنسين، وأثّر صعود الجماعات المسلحة واستبدادها في محتوى ونطاق تغطية وسائل الإعلام الناشئة بعد 2011، والمطبوعة منها على وجه الخصوص. حتى المجموعات المسماة "معتدلة" هي أيضاً استبدادية عندما يتعلق الأمر بالنساء، فهي على سبيل المثال، تحدّ من عمل الصحفيات عبر منع حركتهن ما لم يكنّ برفقة ذكر محرم، كما تراقب الكثير من هذه الجماعات وسائل الإعلام الناشئة على الأرض، ولا سيما ما يتعلق من عملها بتغطية قضايا النساء. وهذا أكده 20% من وسائل الإعلام الناشئة المشمولة بالبحث الذي أجرته "شبكة الصحفيات السوريات" لعام 2016، أي أنها لا تستطيع نشر مواضيع معينة حول النساء إلاّ عبر المواقع الإلكترونية بسبب تلك الرقابة، في حين يلتزم عدد من تلك الوسائل نوعاً من الرقابة الذاتية مقدماً.

في حين يبدو أنّ الحديث عن النساء وحقوقهن وحتى تصويرهن موضوعاً قد تمّ التطرق له كثيراً، إلا أنّ النظر لكيفية تعاطي الإعلام مع هذه القضايا يمرّ عبر مراحل متعددة، ليس فقط على صعيد المحتوى وفهم السياق العام، وإنّما أيضاً على صعيد عمليات الإنتاج، والتي تؤثر في تصوير النساء بدءاً من اختيار الموضوع، ويتجلى ذلك في تغطية مواضيع تتمركز على العنف وإظهار النساء على أنهنّ ضحايا. وعلى الرغم من القيود والنواقص الكثيرة المتعلقة بتصوير النساء في وسائل الإعلام، هناك دليل على الجهود المبذولة لتحدي الصورة النمطية للنساء، وهناك اتجاه صغير، لكنه مهم، لتغطية تجارب النساء وقصص نجاحهن. ويبدو أيضاً أنّ هناك علامات إيجابية على أن بعض وسائل الإعلام الناشئة تملك فهماً جيداً للتحيزات الجندرية ضدّ النساء، ويبقى السؤال متى ستترجم هذه النوايا الطيبة إلى أفعال وكيف.

وقد لوحظ أنّ حجم تغطية المواضيع الخاصة بقضايا النساء صغير (بالكاد يبلغ 200 مقالة في السنة في أفضل الحالات)، وتزداد هذه التغطية في مناسبات معينة مثل يوم المرأة وعيد الأم، لكنها تعود إلى النسيان من جديد بعدها، ويبدو أن القرارات المتعلقة بهذه التغطية هي، على الأغلب، قرارات مخصصة لمناسبة معينة وبحسب الظروف على الأرض. وكان معظم القائمين على اتخاذ القرارات رجال، وإليهم يرجع قرار التغطية.

تلعب الأيديولوجيات السائدة في كيفية تقديم النساء، وفي الحالة الإعلامية السورية الناشئة يبدو من الصعب تحديد المواقف الإيديولوجية لتلك الوسائل، إذ غالباً ما تبدو الخطوط بينها غير واضحة، حيث إن عدداً منها مايزال في مرحلة جنينية، ولا يمتلك هوية واضحة. والاتجاهان الأيديولوجيان العامان اللذان لوحظ أنهما يؤثران في تصوير النساء هما: الأيديولوجيا الليبرالية/العلمانية، والأيديولوجيا الدينية. وغالباً ما تتشابك الخطابات القومية والبطريركية مع كل منهما.

كذلك أظهر الاتجاهان افتراضات متشابهة حول النساء تعتمد، على الأغلب، على المواقف الاجتماعية ومواقف الكتّاب من مساواة النساء بالرجال. وتنطوي المواقف الشائعة على: نقص الإيمان بقدرات النساء، والقناعة بأنّ النساء تابعات للرجال، والتفكير بأنّه من الممكن استخدام النساء بوصفهنّ أداة مفيدة لزيادة التعاطف في حال صُورنّ على أنهنّ ضحايا.

لايقف تحليل الخطاب الإعلامي اليوم عند حدود النص؛ فالأدوات الأخرى المرافقة كالفيديو والتصوير الفوتوغرافي تلعب دوراً كبير في رسم نمط معين في أذهان الجمهور حول قضية معينة. وقد تبيّن وجود نقص في وسائل الإعلام الناشئة من حيث الاستخدام الفعال للغة البصرية. والتفسيرات الممكنة لذلك قد تكون التصورات الخاطئة حول وظيفة الصور المرفقة بالنص، أو نقص التمويل المستهدف. فقد بالغت الصور المستخدمة في وسائل الإعلام الناشئة عموماً في تصوير النساء اللاجئات كضعيفات وفقيرات ومنكسرات، مقدمة بذلك صورة نمطية محدّدة عن النساء السوريات، وبالتالي هناك حاجة لأن يولي منتجو وسائل الإعلام الناشئة ومحرروها مزيداً من الاهتمام بالسياق، وأن ينتقوا الصور الأكثر ملاءمة له. كما أنّ هناك حاجة أيضاً لأن يكتسب العاملون في وسائل الإعلام الناشئة والمكلفون بانتقاء الصور مزيداً من المعرفة والخبرة في هذا المجال.

كل هذا لاينكر الجهد الذي تبديه وسائل الإعلام السورية الناشئة في إنشاء موجة جديدة من إعلام ثوري وحرّ، مع إيلاء أهمية خاصة لقضايا الحقوق والحريات، إلاّ أنها تعمل في سياق معقد وصعب وغير آمن سواء داخل سوريا أو خارجها، وسواء كانت قادرة على التحكم في تأثير السياق الخارجي أم لا.. وفي حين كانت قادرة على التأثير في إنتاج الخطاب الخاص بها، فإن القضية الكبرى تكمن في فشل الخطاب في تحدي المظالم البنيوية.

المرأة في مؤسسات الثورة بين التمكين والتنميط

أسامة نصّار

قال: لازالت صورتها في عيني.. تقف في شارع القوتلي معترضة الباص المحشو بالمعتقلين.. صرخت بهم: "لا أتزحزح حتى ينزل كل الشباب". ثم لم تتزحزح حتى كان لها ذلك.

لم تكن صفقة تبادل أسرى، ولا وجدت وساطات من منظمات ودول وكواكب أخرى.. كانت أم عماد وحدها تقف قبالة ضباط وشبيحة مسعورين، أنهوا لتوّهم قمع إحدى مظاهرات دوما المبكرة.. استخدموا كعادتهم الرصاص الحي وقنابل الغاز، وكانوا يهمّون بمغادرة المدينة، مع باص ملؤوه بمتظاهرين شباب هتفوا للحرية والكرامة.

أقسم أحد الحاضرين: "نفس المشهد صار بالميدان،عند جامع الدقّاق.. نفسه نفسه!".

جميع من في السهرة اتفقوا أن الحادث تكرّر بالفعل أكثر من مرة؛ في دوما وفي غيرها، ومع أم عماد ومع غيرها. واتفقوا أيضاً بوصف الأخيرة: "لا تملّ، ولا تتعب"! لكن أحدهم عقّب: "بدك تفهم هالحكي اليوم لصبيان المكاتب الأمنية ليتركوها بحالها"!

الكلام أدناه ليس في سياق دعوة (فمنست) تغريبية، لعلك موضوع تحرير المرأة وحقوق النساء في السياسة، أو لاستحضار معارك افتراضية عن تولي المرأة رئاسة الدولة (أي دولة؟) أو خطابة الجمعة في الحرم المكّي!.. وليس أيضاً للتغنّى بنون النسوة والتاء المربوطة، فيما لا تزال كل أبجديتنا مصادرة..

لا ننشد هنا شيئاً أبعد من الكفّ عن إقصاء النساء عن أماكن وجودهن الطبيعية. وخاصة في حال وجدن بالفعل. فلا تخلو مدينة أو قرية أو بلدة من "أم عماد" ومن نشاط نسوي مهما كان صغيراً أو كبيراً؛ منظماً أو فرادى ومثاني.

في مؤسسات ما بعد الثورة، لا زالت معظم طروحات عمل المرأة تتلازم مع أفكار مثل الخياطة وشغل الصوف والكوافير.. ومؤخراً -وهذا ربما هو الأكثر إسهاماً في التنميط- (مكتب المرأة)! ويختلف تعريف مكاتب المرأة هذه ووظيفتها من مؤسسة إلى أخرى؛ لكن يمكن إجمالها بأنها تعمل بما تفترض أنه يخصّ المرأة، ولا تعمل بما تفترض أنه لا يخصّ المرأة؛ فالتربية واحتياجات الأطفال وزوجات الشهداء والمعتقلين والتوعية عن النظافة والغسيل وصحّة الأولاد والصحّة العامة في البيت، أمور تخص المرأة. المحاسبة وإدارة المشاريع والإعلام والتواصل والعلاقات العامة أمور تقتصر على مكاتب الرجال!

تداوم مؤسسات المناطق المحررة على الشكوى من هجرة الكفاءات، نحو السلاح أو خارج البلد، وقليلاً ما يطرح وجود نساء مؤهلات (أو ممكن تأهيلهنّ) لسدّ الحاجة. رغم أنه وبحسب إحصاء للبنك الدولي، فإن النسبة المئوية للإناث إلى الذكور في الالتحاق بالتعليم العالي في سوريا: في 2011 كانت 0.99 بينما في 2012 صارت 1.04، ولا تحديثات منشورة عندهم عن السنوات اللاحقة، لكن المتوقع أن ظروف البلد تؤدي لزيادة نسبة الإناث في التعليم العالي على حساب الذكور. والنسبتان أعلى من نظيرتيهما في دول متقدمة علمياً مثل ألمانيا وتركيا.

مشاهدات ذات صلة، معظمها من الغوطة الشرقية:

في الغوطة الشرقية، لا يوجد تمثيل للمرأة في جميع المجالس المحلية، باستثناء المجلس المحلي لدوما؛ حيث وُجد (مكتب المرأة) ضمن مكاتب المجلس. ولاحقاً أنشئ مكتب بنفس الاسم في مجلس محافظة ريف دمشق.

في انتخابات المجالس المحلية لا تشارك النساء لا في الترشّح ولا في الانتخاب (تمنع إن أرادت في بعض الحالات)، لكن لا بدّ هنا من تسجيل سابقة للمجلس المحلي في زملكا؛ حيث نظّمت انتخابات عامة بمشاركة جميع الراشدين من السكّان بمن فيهم النساء، ويذكر أيضاً أن النظام استهدف مركز الانتخاب الخاص بالنساء بالقصف.

بعض مشروعات تمكين المرأة انتهت بالمحاكم الشرعية أو غير الشرعية، أو بفضائح فساد وسوء أمانة وغيرها.. ناهيك عن خناقات نسوان مقيتة على طريقة كناين باب الحارة المقيت! وهذا بالمناسبة يحدث في مشروعات نسوية وغير نسوية، لكن لما يتعلّق الأمر بالمرأة، فمثل هذه البهدلة تهدي مستنقعاً من الماء العكر لصيادين ذكوريين: "هاد يلي بيشتغل مع النسوان.. قلنا مكانها البيت.. المرا بنص عقل.. إن كيدهنّ عظيم..".

في مؤسسات فاعلة في الغوطة الشرقية، لا تشارك النساء في الانتخابات، (في حال وجدت نساء أو وجدت انتخابات أصلاً) يصحّ ذلك على كل من مديرية التربية ومديرية الصحّة، والمكتب الطبي الموحّد، ومكتب الخدمات الموحّد، والمكتب الإغاثي الموحّد، ورابطة إعلاميي الغوطة الشرقية..

الهيئة العامة في الغوطة الشرقية، وهي أكبر تجمع للمؤسسات المدنية، أيضاً لا يوجد في مجلسها التأسيسي وفي توسعتها ولا امرأة من أصل أكثر من 200 عضو. ولازالت تسعى من خلال مشروع "الترميم" لخلق "كوتا" للنساء.

أحد أهم المحاولات (الأكاديمية) للتعليم العالي البديل في الغوطة الشرقية لا تستهدف الإناث من الطلبة، ولا يوجد في كوادرها التدريسية والإدارية أي امرأة. ويعلّل القائمون عليها ذلك بأن "المشروع في بدايته ويعاني من نقص الكوادر التدريسية و-طبعاً- عجز في التمويل، وهناك خطة لتوسيع العمل ليضم قسماً للإناث"، لكن الأكاديمية بعد نجاح سنتها الدراسية الأولى، توسعت في السنة الثانية بإضافة أقسام أخرى أيضاً تقتصر على الذكور.

تتعرض بعض المؤسسات لمضايقات من (المكاتب الأمنية) في مناطقها لمجرد كون القائمات عليها نساء، أو أنها تنشط في مجالات تخصّ المرأة.

لا تزال ثقافتنا المحافظة ذريعة تجهيل وتمييز سلبي ضدّ المرأة، ونقول (ذريعة) لأن معظم حالات إقصاء المرأة وقهرها لا علاقة لها بالثقافة أو بالإسلام أو حتى بالتقاليد المحافظة. بل إن الثقافة المحافظة نفسها تقتضي تمكيناً ومزيداً من مشاركة المرأة الحقيقية في مختلف مجالات العمل. في مجزرة الكيماوي مثلاً، أدى عدم وجود مسعفات وكوادر نسائية ميدانية في الدفاع المدني وفي النقاط الطبية إلى زيادة في عدد الضحايا من النساء؛ فكل المسعفين من الشباب، وغارات الكيماوي كانت بعد منتصف الليل في عزّ الصيف والحرّ، فحال

خجل المسعفين أو غيرة أهالي النساء المصابات أو حتى المصابات أنفسهن.. دون إسعافهن.

ليست كل الأمثلة سلبية ومخيّبة؛ فهناك نشاط نسوي -أو تشارك فيه نساء بفاعلية- معتبر مثل تجربة مراكز النساء الآن، نساء الغوطة، مركز نور لكسر الحصار، مؤسسة يد واحدة، منظمة أسس، شبكة حرّاس.. ومؤسسات وتجارب فردية أخرى تشكّل قصص نجاح نسائي مهمة ومحترمة.

نتابع:

أحد المؤسسات المذكورة سبقت -زمنياً- كل المبادرات في منطقتها، فكانت أول مؤسسة عاملة في مدينتها، وكان السكان يراجعونها للسؤال عن أمور ليست من اختصاصها لمجرد أنها (الجهة) الوحيدة في المدينة.

توجد سيدتان في مجلس محافظة ريف دمشق تمثلان منطقتين فيه، وقد وصلت إحداهما للمكتب التنفيذي لمجلس المحافظة.

يستمر طرح مشاركة المرأة في الحياة العامة والعمل المدني على أنه (إقحام) تكميلي، كإكسسوار، أو من أجل تقوية "البروفايل"، أو لأنه أفضل لاستقبال التمويل.. لتبدأ أكثر المشروعات بالرجال ثم يمكن أن تتوسّع لتضمّ بعض النساء ضمن هوامش أو زوايا محدودة ومقيدة تسمّى بمسميات مختلفة منها (مكتب المرأة) أو لجنة المرأة أو مكتب الأسرة أو التوسعة أو حتى (السدّة)

خلف باب الغرفة السريّة شيء ما ضاع إلى الأبد

بشرى البشوات

لم يكن في وسع ذرة الماء، تلك الحاملة تكويني، أن تفهم الآتي من تاريخها أو الماضي. لم تفهم أنها بالذات معنى التاريخ، وأنني وأنّك أيها الإنسان لسنا سوى تنويعة بحث أليم، بحث مسكون بالفزع عن مكانها وزمانها الخاصين، وسيبقى ذلك الطفل الثاوي في قاعنا باحثاً عن السرّ العظيم، كامناً فيما وراء باب ما، يسترق النظر ليرى الذي ضاع إلى الأبد، والذي ضاع كان سفر تكوين وخروج عظيمين (دخول ذرة الماء ثم المكوث ثم الخروج من الرحم)، تسلّسل كارثي للقدر(الذي لن أراه) سيختزن المجهول حتى آخر المسافات.

معه سأكون (حام) الملعون، وسيحمل تاريخي، جنباً إلى جنب، عورة أمي وأبي التي ستنقش عورة لا في الجسد، بل في الروح. سيكون تاريخي تاريخ العورة، وحلمي عوداً أبدياً على مكانها وزمانها الأصليين. لن تكون اللغة والعقل سوى تمويّه وحجب، كل ما فعلته البشرية في لحظتها الرومانية (التي أقصت فرح الإغريق) وما بعدها، أنها غطت عورة المصلوب بفائض الخيبة، وأنتجت الفن علّها تستعيد تلك اللحظة الأصلية.

كان "غورجياس" أول من تأمّل في اللغة، كقابلية تَرمي إلى بناء حقيقة ذاتية مُستقلة في داخل الواقع الحقيقي على ما يذكر "باسكال كينيار". ثمّة مكان يعرفهُ كل إنسان دون أن يعرفه أي أحد، رحم الأم، ولكل إنسانٍ زمانٍ ومكانٍ ممنوعان، هما زمان ومكان الرغبة المطلقة، تلك التي لم تكن رغبتنا، رغم أنها أم رغبتنا.

دوماً تتوسّد روحنا يوتوبيا شخصيّة وأخرى تاريخيّة، دوماً كان هناك زمن للسر. في السلّة المُقدّسة هناك شيء مفارق في الزمان والمكان، يَفتن أبناءه ويتوارى خلف ظلال اللغة، هنالك دوماً، خلف باب الغرفة السرية طفل يُصغي ليسمع صوت الشيء الذي لا يراه، ومثلما يكمن الرسام خلف اللوحة يكمن مشهد خلف خطاب اللغة، يقول أرنست رينان " هناك شيء مُهم في ماضي البشر لا نستطيع

ذكره باعتراف صريح، فمثلما لا يمكننا رؤية الإله دون أن نموت، كذلك لا يمكننا أن نواجه حيوانية الإنسان دون رؤية الفزع".

لا ينظر البشر إلاّ إلى ما لا يمكنهم رؤيته، ولا أحد يملك سرّه الخاص قط، تلك هي غلطة "نرسيس" في نص "أوفيد": (يجب أن لا تعرف نفسك، كل ما ينتزعك من نفسك سرّ، لا يمكنك التمييز بين السرّ ونشوتك). وهنا نتذكر أنّ اختراع "التراجيديا الديونيزية" واختراع "البورنوغرافيا" واللوحات التي سميت "libidines" يعود إلى الإغريق، وتنازع الرومان واليهود أيّهما الأسبق في اختراع السروال الذي غطى الأعضاء الجنسية.

وحده الحلم من يَعبر باباً ضيقاً نحو غرفة سرية تعود بنا إلى الرحم. وحده الحلم في الليل الذي يغرق فيه كل يوم، كل البشر، يكشف جزءاً من هذا العالم الذي تدير له اللغة ظهرها. وحده الفن، حين يطلع النهار، يقترب من حافة الفيض، وحدهم العشاق حين يخلعون عنهم كل ما يسرقهم من عريهم، يقتربون من أرض الرغبة، هنا تصنع دارة من الجلال والجمال. في لوحة "عزبة الأسرار" الرومانية ثمّة بيت ريفي له نافذة تطلّ على الأشجار، يفتح بابه على سلة تقبع فيما وراء الظل، في السلّة كان الفاتن مُجلّلاً بالسرّ، ليس الفاتن هو الجميل بل هو الأجمل وقد تجلّل بالفزع.

بحسب "باسكال كينيار" وحده الفن يستطيع أن يُعيد في شباكه بقايا من تلك المشاهد التي تعود إلى العالم الأخر للعالم .إننا نرى، دوماً، شيئاً ضائعاً يُعطي معنى لما هو باق، معنى نتأوله في الحلم والفن، عود أبدي إلى أول زمان وأول مكان، سبحت فيهما ذرة الماء تلك. نتأوّل وكلّ تأوّل هذيان، لأنّ شيئاً ما ضاع إلى الأبد

مازال حيّاً

مريم الحلاّق

تروّض نفسك على قبول الواقع؛ أنّ ابنك قد استشهد في المعتقل! وتُوهم من حولك بأنّك تأقلمت مع غيابه، على الرغم من قسوة ذلك. وتعيش حياتك العادية أو ما يُشبهها، تخرج، تتحدّث، تساير في "لعب الورق" وطاولة الزهر. تضحك وتسمع صوت ضحكتك الجوفاء، فتستغرب الصوت: "كم من الزمن لم تضحك ضحكة صافية صادقة؟! والجميع يحسبك تأقلمت"!!

وفجأة يظهر أحدهم قائلاً: "مازال حيّاً!"، وتعود الآلام والأشجان والأحزان لتظهر على سطح ما كنت تخبئه وتخفيه، تحاول التماسك واستخدام العقل، فيخونك كل ذلك. تصبح ضعيفاً هشّاً أمام أيّ كلمة تسمعها أو تبصرها في عينيّ وفم الكبير أو الصغير.

ويبدأ الأمل الذي لم تفقده يوماً بالنمو والتشعّب في جميع خلايا جسدك؛ في تفاصيل دقات قلبك، والآهات التي يصدرها تنفسك، وتغرقك الأسئلة:

هل ستلمح وجهّه الجميل مرةً أخرى؟ هل ستضمه بين ذراعيك ثانيةً؟ هل ستجلسان في الصباح وترتشف قهوتك بينما هو يشرب كأس الحليب ممزوجاً بالنسكافيه، وتتحدثان بينما تَنصتا لصوت فيروز القادم من غرفته؟! هل؟ وهل؟.. وهل؟!

تسترقُ السمع.. لعلّ أحدهم عنده خبر ولم يشأ أن يُخبرك به، لأنّه غير مُتأكد من صحته. تنظر إلى الهاتف الصامت في إحدى زوايا الغرفة، ويخنقك السؤال: هل سيرنّ يوماً ما ويحمل الرنين خبراً تنتظره؟ وجوّالك لا يفارق يدك، حتى وأنت نائم. لعلّه سيكون هو من يحمل البشائر.

وتنتظر.. وتنتظر، ويطول الانتظار. وفي كل صباح تُمنّي نفسك: سيكون هذا هو اليوم الموعود، ويأتي الليل لتقول غداً صباحاً سيتحقق الأمل.

تقضي الليل مُتضرّعاً لله؛ تدعوهُ بكل ما يختلج في نفسك، وترجوه أن يَردّ إليك ولدك الذي فقدت.. ترجوه أن يُطمئنك عنه، ويعيده إليك سالماً، وبأسرع وقت.

لكن الليالي تمرّ، ويخبو الأمل، ليعود إلى مكانه في داخلك، ولتعود الحياة إلى يومياتها، وتعود أنت لتروّض نفسك من جديد على العيش فيها..

لوحة للفنانة ديمة نشاوي

نشرة اقتصادية

وائل موسى

مزيد من الحصار وارتفاع الأسعار في دير الزور

وفق سياسة تشديد الحصار على المناطق المحاصرة تتزايد معاناة المدنيين بتزايد الأسعار الناتجة عن الأوضاع العسكرية، فلم يعد العنف المسلح وحده ما يشكل خطراً على حياة المدنيين.

استهدفت قوات التحالف منتصف شهر سبتمبر/تموز الماضي عدداً من الجسور التي تشكل شرياناً حيوياً لربط مناطق المحافظة ببعضها البعض، وقد نقل موقع حملة "دير الزور تذبح بصمت" خبراً عن استهداف طيران التحالف لجسر السكة في محيط قرية أبو حمام وجسر الري في ناحية أبو الخاطر وجسر على الطريق العام الواصل بين قرية هجين وأبو الحسن وجسر بين السوسة والشعفة وجسر في ناحية الهري.

يأتي استهداف قوات التحالف لجسور دير الزور فيما يبدو أنه ضمن خطة الحملة الهادفة لإخراج قوات تنظيم الدولة (داعش) من الموصل في العراق، حيث بين عدد من المحللين والحقوقيين من بينهم المحامي "نبيل الحلبي" أن خطة تحرير الموصل من داعش هي دفعهم باتجاه الأراضي السورية.

وقد نشر موقع حملة "دير الزور تقتل بصمت" لائحة بآخر أسعار المواد الغذائية والأساسية المتوفرة في الأحياء المحاصرة، وتبين اللائحة ارتفاعاً كبيراً في أسعار السلع.

وصل سعر كيلو الثوم إلى 30 ألف ليرة ويباع في الأسواق بالغرامات بما يعادل 25 ضعفاً من سعره في البلدان المجاورة لسوريا، كما شهدت الأحياء نقصاً حاداً في الخبز نتيجة فقدان الوقود وتوقف الأفران عن العمل في أغلب الأوقات.

تأثرت عملية نقل البضائع في مناطق سيطرة تنظيم داعش بسبب استهداف الجسور، وتقوم داعش بدورها في حصار مناطق سيطرة قوات النظام الذي يساهم بدوره في زيادة المعاناة ضمن الأحياء المحاصرة من خلال استغلال متسلطي النظام وشبيحته على الأسواق، بالإضافة إلى سرقة المساعدات الإغاثية وبيعها في

الأسواق بأسعار مرتفعة.

بعض أسعار المنتجات الأساسية:

كيلو الطحين الأبيض 1000 ليرة، كيلو الشعيرية محلية الصنع 1200 ليرة، علبة دبس البندورة وزن 830 غ 5600 ليرة، كيلو الزيت 3500 ليرة، كيلوالسكر 3000 ليرة، 100 غ ورق شاي الكرزة 1500ليرة، كيلوالبصل اليابس 6000 ليرة، كيلو لحم الضآن 10000 ليرة، الفروج (غير متوفر)، سعر البيضة العربية 400 ليرة.

يدعم الطيران الروسي قوات النظام المحاصرة في المدينة بمساعدات تلقى عبر الجو، ومن بين المساعدات شحنات من الوقود، وبحسب شهود أكدوا أنه وللمرة الثانية تسقط احدى شحنات الوقود الملقاة من الطيران الروسي بيد تنظيم الدولة.

تفعيل نقل الذهب بضوابط لعدم وصوله إلى المناطق المحررة

بعد انقطاع عمليات نقل الذهب إلى القامشلي، وضع مصرف سورية المركزي آلية لنقل الذهب داخلياً عبر المطارات ضمن ضوابط كثيرة لضمان عدم وصوله إلى المناطق المحررة.

عدد كبير من الصحف والوكالات تناولت خبر إعادة تفعيل نقل الذهب التي شكلت أزمة في القامشلي خلال الفترة الماضية، إلا أن تفاصيل الاتفاقية وما تخفيه تفاصيلها غابت بشكل واضح، ونشرت صحيفة الثورة الرسمية للنظام التفاصيل بعد أن وردها نسخة عن الآلية المحددة من قبل المركزي، وتنحصر عمليات النقل وفق قيود وضوابط كثيرة، حيث يسمح بنقل السبائك والذهب الكسر من قبل الحرفي المنتسب لجمعية الصاغة حصراً مع ابراز وثيقة تسجيل وبراءة ذمة تجاه وزارة المالية إضافة لوثيقة نقل الذهب ضمن الأراضي السورية المعتمدة من قبل المركزي.

بموجب الاتفاقية الجديدة، يسمح بنقل الذهب من مطار القامشلي واللاذقية باتجاه مطار دمشق الدولي بكافة الأنواع والعيارات وفي حال رغبة الحرفي بإعادة الذهب بعد التصنيع يسمح له بذلك ضمن مدة لا تتجاوز 30 يوماً من وصوله إلى دمشق، وبنفس الكمية التي جلبها معه من عيار 21 أو 24 على ألا ينقل لخارج دمشق سوى الذهب المصنع من عيار 21 حصراً.

تبدوا تفاصيل الاتفاقية الموضحة أنها لا تسعى لحل مشكلة، بل تساهم في خلق العديد من المشاكل الإضافية، فانخفاض الذهب في السوق لن يسمح بتعوضيه، كما أن الآلية ستساهم في اختفاء الذهب النقي من عيار 24 من الأسواق خارج دمشق واستبدالها بعيار 21، حتى أن استبعاد العيار 18 يعني فقدان قطع الحلي

المميزة بمتانتها.

وفيما يتعلق بالحلي الشخصية فقد سمحت الآلية للشخص الواحد بما لا يتجاوز 200 غرام من الذهب المصاغ كحلي عبر مطار دمشق الدولي إلى مطاري القامشلي واللاذقية مع عدم اعتبار الليرات الذهبية السورية والانكليزية والسبائك من الحلي الشخصية إلا إذا كانت مصاغة بشكل حلي.

منير الشعراني في تحدّي المنجز

الشعراني لـ "طلعنا عالحرية":
" أدعو في أعمالي إلى وطن يساوي بين أبنائه جميعًا"

طلعنا عالحرية

يُبدع الخطاط والتشكيلي السوري المعروف منير الشعراني (مواليد دمشق 1952) في استنطاق خامات الحروف والإشتغال على التفاصيل الدقيقة ليبدو منجزه البصري وكأنه يرسم لا يكتب.. وهو في كل أعماله غير منفصلٍ عن واقع بلاده هناك حيث دمر الطغاة أكثر من ثلث عمران البلد، وقتل واعتقل مئات الآلاف من السوريين وشرد الملايين. ومن دمشق، من قلب الوجع السوري والأحداث الداميّة تخرج لوحات ضيفنا، لتكون سفيرة القيم والأفكار السورية النبيلة والعطاء الفني المشبع بالحرية، والرافض للاستبداد والاستبداد المضاد والظلامية.. فكان أن شارك في العديد من المعارض خارج وطنه النازف في السنوات الأخيرة، والتي كان آخرها معرض "إيقاعات خطية"، الذي تحتضنه صالة "أروبيا" في العاصمة الفرنسية (باريس)، في الفترة مابين (15 أيلول/ سبتمبر وحتى 28 أكتوبر/ تشرين أول الحالي)، وهو ما أتاح لنا فرصة لاجراء هذا الحوار..

بداية كيف استقبل الجمهور الفرنسي معرضك هذا، الذي قدمت فيه منجزكَ البصري الذي تعمل من خلاله على إحياء الماضي بالحاضر، وهنا أسألك: كيف تنتقي العبارات التي تبني عليها هذا المنجز؟

- أستطيع القول إنني في الافتتاح وفي الأيام الأولى التي كنت متواجدًا خلالها في المعرض لمست حضورًا واهتمامًا وإقبالًا جيدًا لفرنسيين، وقد عبّر لي كثير منهم عن إعجابهم بما عرضت، وكان بينهم عدد من المتابعين والمهتمين بتجربتي وخصوصيتها وقد سبق لبعضهم اقتناء أعمال لي.

أمّا عن المنجز البصري فأنا لا أسعى إلى إحياء الماضي بالحاضر، بل أسعى إلى الإنطلاق من المنجز البصري الذي توقف عن التطور والتجديد بشكل متواز مع التدهور الحضاري وحلول الجمود والسلفية والجهل محل النهوض الحضاري الذي سبقه، أسعى إلى البحث عن المسكوت عنه والمجهّل والمغيّب من هذا المنجز في غيابات المتاحف وفي سجن القدسيّة الذهبي الذي وضعه فيه العثمانيون بعد أن أهملوا معظمه ممّا لم يتّفق مع ذائقتهم وجمودهم وتخلفهم الحضاري، وقننوا استخدام ما تبقى وربطوه بالمقدّس وحده بعدما كان يضفي جماله على الحياة في نواحيها المختلفة، أعمل على الانطلاق من الجذور العميقة لدوحة الخط العربي الغنية بالثمار إلى التطوير والتجديد والإضافة لإعادة هذا الفن شديد الخصوصية والتميّز إلى مكانته الطبيعية اللائقة بين الفنون الجميلة.

في ما يخص العبارة التي أبني عليها فهي بالنسبة لي المحتوى الذي يقوم عليه الشكل وهما –المحتوى والشكل- يتكاملان ويفعل كل منهما في الآخر ليحققا المنجز البصري، ليس في العمل الواحد فحسب بل في مجمل الأعمال التي تشكل هذا المنجز وتصب فيه وتنتمي إليه، ليأتي معبرًا عني وعن فكري وعن تطلعاتي وعمّا أهتم به وأحفل له، لذا أقوم دومًا أثناء قراءاتي بتدوين ما أراه يصب في

رؤيتي ويعبر عن أفكاري في ما يخص الحق والخير والجمال وما يرتبط بها من قضايا الإنسان وتوقه إلى الحرية والعدل والحب وغيرها من المسائل.

يرى متابعون لمسيرتك الفنية أن الجديد من لوحاتك في سنوات الجمر السوريّة، يصلح لأن يكون خطابًا سياسيًا واجتماعيًا متخففًا من الخطابة والفجاجة. فهل فرض عليك الحدث المزلزل في بلدنا هذا النوع من العمل؟

يستطيع المتتبع لأعمالي ولتسلسلها منذ بداية تجربتي وحتى اليوم أن يرى بوضوح أن ماذكرته في الفقرة الأخيرة من جوابي السابق حول العبارة ينطبق مع مجمل إنتاجي الذي عملت خلاله على تحرير فن الخط العربي من قفص القدسية الذهبي ومن الغيبيات والماورائيات وحرصت على إعادته إلى الحياة والوجود وكل مايمس الإنسان بشكل مغاير لما آل إليه حاله بعد قرون من الجمود والسلفية والتقليدية، وما أعمالي الأخيرة إلا حلقة في سلسلة أعمالي المعنية والمهمومة بما ذكرت لكن ربما كان بعضها أكثر مباشرة من حيث المحتوى من أعمالي الأخرى، ربما أصبح هناك تركيز في اختيار العبارات على القضايا الملحّة الساخنة، ربما شعرت بحاجة إلى إعلاء الصوت في طلب الحرية ورفض الاستبداد والاستبداد المضاد والظلامية والظلم والتبعية والتعصب الديني والمذهبي والقومي والجنسي وفي السعي إلى وطن يساوي بين أبنائه جميعًا بغض النظر عن جنسهم أو دينهم أو مذهبهم أو إثنيتهم، لكني كنت في كل أعمالي التي أنتجتها في هذا السياق وعلى مدى هذه السنوات حريصًا كل الحرص على عدم التفريط بالشكل والبناء الفني وعلى إنتاج أعمال يتكامل شكلها ومحتواها وتليق بما تنادي به في سبيل الوطن وناسه.

تقول: "يقيني أن ليس هناك نقطة أخيرة في الفن، واقتناعي أن على الفنان أن لا يعمل على تجاوز المُنجَز فحسب، بل عليه أن يعمل دومًا على تجاوز منجزه أيضًا". هل استطعت بعد كل مواسم العطاء هذه أن تحقق ما كنت تصبو له يوم بدأت رحلة الفن والأمل؟

نعم ليس هناك نقطة أخيرة أو ذروة في الفن، وتاريخ الفن يشهد بذلك ويعلمنا أن المنجز الفني العام يتطور باستمرار عبر تراكمات من الإنجازات الفردية تؤول إلى إضافات ونقلات نوعية على أيدي فنانين إستثنائيين لايتجاوزون منجز من سبقوهم فحسب بل ويتجاوزون منجزهم ويؤسسون لمرحلة جديدة سرعان ما تضاف إليها إنجازات أخرى.. وهكذا دواليك، ليبقى قلب الفن نابضًا حيًا متجددًا ومجددًا للحياة منعشًا لها. أعتقد أنني استطعت أن أعمل بجد ودأب وإصرار على الإضافة والتجديد وتجاوز المنجز في فن الخط العربي نظريًا وعمليًا بعد زمن طويل مرّ عليه من الجمود والتقليدية والسلفية، وأعتقد أنني قمت بإنجاز لا يمكن إنكاره في هذا المجال على الرغم من كل العقبات المتنوعة التي اعترضت مسيرتي في سبيل ذلك، لكنني أرى أنه مايزال هناك الكثير مما أصبو إليه وأودّ وأقدر على القيام به، فأنا على قناعة بـقول الحكم بن أبي الصلت: "إنّ العزائم من أنصارها القدر"، أما الحكم على مدى نجاحي في ذلك وعلى تجربتي بكليتها فهو ليس ولا يمكن أن يكون لي.

إبداعات ونشاطات سورية

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

المخرج أسامة محمد يتسلّم جائزة "جسر حوض المتوسط"

تسلّم المخرج السوري أسامة محمد في 19 الشهر الحالي، جائزة "جسر حوض المتوسط" التي يمنحها مهرجان ڤالانسيا السينمائي، وذلك "لما قدمه للسينما وللقيم الثقافية والوجود المشترك لشعوب البحر الأبيض المتوسط"، بحسب ما جاء في بيان لجنة المهرجان، وأضاف البيان: أن "موسترا ڤيڤا ڤالانسيا تريد أن تؤكد من خلال تكريمه وقوفها مع الشعب السوري".

وقد أهدى صاحب "مياه فضيّة" تكريمه في احتفالية خاصة بالمناسبة، إلى: "سوريا موطنُ الشعراء القتلى. شعراء قتلى.. لأن أولئك السوريين كانوا يتظاهرون طلبًا للحرية والعدالة. يؤلفون على الهواء حقوقَ - إنسانهم الجوهرية.. الخطرُ اليوم أكبر فالفاشية تقوم بتحديث نفسها. الفاشية تحدّث حتى لغتها. الفاشيّة تسرق معجم شرعة حقوق الانسان وتعيد تدوير مفردة "العدالة" إلى ضدّها. تطلق على ضحاياها مفردة "الإرهاب" بقوة دمار شامل.. لتكرر قتلهم..".

وأضاف أسامة مخاطبًا اللجنة والحضور: "أنتم اليوم تمنحونني تمريرةً بَينيَّةً كريمة.. تضعني من جديد في مواجهة الهدف. إن هذه (الجائزة - المنحوته - المخلوق الإنساني) التي أحملها بيسراي تعني لي الكثير.. أشعر الآن أنني أتشاركها مع زملائي السينمائيين السوريين الذين قاومنا الفاشية معًا. وعملنا زمنا مديداً.. نحو لغة سينمائية حرّة و طنٍ حُر .. إنني أتذكر عمر أميرالاي".

التشكيلية ريم يسوف في معرض فردي بعمّان

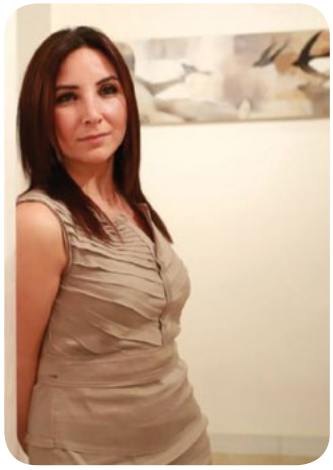

استضاف "غاليري المشرق" بالعاصمة الأردنية (عمّان) المعرض الفردي للفنانة التشكيلية السورية ريم يسوف، تحت عنوان "حكاية ما قبل النوم"، وذلك ما بين الخامس والعشرين من الشهر الجاري. تقول ريم في تقديمها للمعرض: "حكاية قبلَ النوم: لنْ أَرويَّ لكمْ حكايةَ، ما قبل النوم ..فحكاياتي أصبحتْ على قصاصاتٍ من ورقٍ صغير، سَكَنَتْها وجوهٌ وأجسادٌ وأصواتٌ، رَفضتْ دخولَ كابوسنا اليومي ..ورَفضتْ أَنْ ترى الوحشَ، وقَدْ ابتلعَ جنيّات أُمنياتنا المُلوّنة، وحشٌ قَدْ اختطفَ كلّ ابتسامةٍ من وجوهِ أطفالي، وحشٌ غيَّرَ لونَ الأرضِ، وغيَّرَ صوتَ أمّي وأبي وكلّ رائحةٍ من جدةِ حنونة.. فَأخذتُ قُصاصاتي ونَثرتُها للعصافير، ومنها ما وَضَعْتُهُ تحتَ وسادتي، ووسادةَ أَطفالي، لتكونَ نافذةً لنور، في الغرفةِ المُعتمة، فهناك.. ثمة أحبةٌ تَنتَظرنا".

صدر حديثًا في القاهرة.. "غادة السمّان امرأةٌ من كلمات"

صدر حديثًا في القاهرة كتاب بعنوان "غادة السمّان امرأةٌ من كلمات"، يتضمن شهادات في أدب السمّان بأقلام أدباء وكتّاب عرب وكذلك حوارًا أجراه المؤلف الشاعر والناقد العراقي عذاب الركابي مع الكاتبة السورية الكبيرة في أواخر العام الماضي، ودارَ حول تفاصيل حياتها الإبداعية والثقافية والإنسانية، رأته الكاتبة الكبيرة من أهمّ وأطول الحوارات التي أجريَت معها خلال حياتها. ومما جاء على الغلاف الأخير للكتاب بقلم المؤلف: "هي غادة السمان وكفى، كلماتها وأعمالها وإبداعاتها تمرين صوفي على الولادة والموت. غادة السمّان مخلوق بياني، أمهر وأمتع مَن يلهو بالاستعارات، أردت أن أحتفي بها فوجدتها تقيمُ كرنفالاً بهيجًا لكلماتي..".

مشاريع الكتابة الإبداعية الحاصلة على المنح من "مختبر الفنون"

أعلنت مؤسسة "اتجاهات- ثقافة مستقلة" عن المشاريع الحاصلة على المنح الإنتاجية ضمن الدورة الثالثة من "مختبر الفنون: برنامج دعم الفنانين السوريين"، بالتعاون مع "معهد غوته". ضمن فئات السينما والرسوم المتحركة، المسرح وفنون العرض، الفنون البصرية والتشكيلية، الموسيقى، إضافة للكتابة الإبداعية، حيث وقع اختيار كتاب "حكاية لاجئ .. قصص وشهادات سورية" لديما ونوس، ومشروع "أنطولوجيا صوتية للشعر السوري ما بعد تجربة اللجوء" لأحمد قطليش، ومشروع "محنة اللجوء ولعنة الاغتراب" لكتاب "أجاثا كريستي.. تعالي أقل لك كيف أعيش" للروائي والناقد السوري الكردي هيثم حسين.

ايتل عدنان في أنطولوجيا شعرية ضد الإرهاب

في سياق مواجهة "ثقافة الموت" ورفضًا للأعمال الإرهابية التي ضربت فرنسا وأوروبا هذا العام، انبرى مجموعة من الشعراء العرب والأوروبيين لإصدار نصوص شعرية ونثرية في عمل أدبي مشترك، يعلنون فيه انتصارهم لثقافة الحياة ورفضهم العنف والكراهية. وقد صدر الكتاب تحت عنوان "نحب الحياة أكثر مما تحبون أنتم الموت"، وشاركت فيه الشاعرة اللبنانية السورية الكونية ايتل عدنان (90 عامًا) بنص يفتتح الأنطولوجيا، بعنوان "نحن متعبون من الموت"، ولا تقصد الشاعرة هنا الموت الطبيعي المحتم، بل ذلك الناتج عن العنف الأعمى المتفشّي في عالمنا العربي والذي تعتبره الأخطر "لأنه لا يقتل الجسد فقط، بل يشوه أيضًا الفكر. وحين تفسد عناصر الفكر، تتضاءل إمكانيات النجاة، أو تتوارى".

طلعنا عالحرية
سوريا
اقوى
من التقسيم